الرحم ويمتزج به مني المرأة فيزداد به اعتدالا تم يصحبه الرحم
فيزداد تناسبا حتى ينتهي في الصفاء استواء نسبة الاجزاء
الى الغاية فيستعد لقبول الروح وامساكها كالفتيلة التي
تستعد عند شرب الدهن لقبول النار وامساكها فالنطفة
عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحا تدبرها
وتتصرف فيها فيفيض اليها الروح من جود الجواد الحي الواهب
لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله
واحتماله من غير منع وبخل فالتشويه عبارة عن هذه الاحوال
المردوده لاجل النطفة في الاطوار السالكة بها الى صفة
الاستواء والاعتدال وامّا النفخ فانه عبارة عما اشتعل
نور الروح في فتيلة النطفة فالنفخ صورة ونتيجة امّا صورته
فاحتراج النافخ الهواء الى صوب المنفوخ فيه حتى يشتعل
الحطب القابل للنار والنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ
الذي هو سبب في حق الله تعالى محال والمسبب عن محال محال وكثيرا ما
يكنى بالسبب عن الفعل المستفاد منه كقوله تعالى غضب الله عليهم

کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مجموعه ۳ رساله ۱ رساله الامام الغزالی ۲ رساله الامام الغزالی
مؤلف عن معنی قوله تعالی الله الذی خلق سبع سموات ...
موضوع ۳ کتب صوفیه و عقیده و حکم الاهیه
محمد بن محمد بن محمد الغزالی الطوسی
۱۰۵۸۰
۸۶۸۹
خطی - فهرست شده
۱۰۵۸۰

وقوله فانتقمنا منهم والغضب عبارة عن نوع تغير في
الغضبان يأذي به وبنتيجته اهلاك المغضوب عليه
وانلافه فعبر بالغضب عن نتيجة الغضب وبالانتقام عن
نتيجة الانتقام وكذلك عبر بالنفخ عن شبيهه النفخ
وان لم يكن على صورة النفخ فان قيل فما السبب
الذي اشتعل به نور الروح في قبيلة النطفة قيل هو صفة
في الفاعل وصفة في القابل اما صفة الفاعل فالجود
الالهي الذي هو ينبوع كل جود وهو فياض بذاته على
كل ما له قبول ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثاله
فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع
الحجاب بينهما والقابل هو المثلوبات دون الهواء الذي
لا لون له واما صفة القابل للاستواء فالاعتدال
الحاصل بالتسوية كما قال تعالى فاذا سويته فمثاله صقالة
الحديد فان المرآة التي شرط الصدي وجهها لتقبل الصورة
المحاذية لها فاذا اشتغل الصيقل بصقلها وزال الصدي

على فهرست شده
١٠٥٨٠

الذي كان مثارا كما علية احدثت فيها الصورة من ذي
الصورة المحاذي لها فكذلك اذا حصل الاستواء
في النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح من غير
تغير في الخالق بل انما حدث الروح الان لا قبله
لتغير المحل بحصول الاستواء الان كما ان الصورة فاضت
من ذي الصورة على المرآة في حكم الوهم من غير تغير حدث
في الصورة ولم يكن ذلك من قبل لان الصورة لم تكن
مهيأة لان تنطبع في المرآة ولا لان لان المرآة لم تكن
صقيلة قابلة فان قيل فالنفخ قلنا لا ينبغي ان
يفهم من النفخ ما يفهم من فيضان الماء من الاناء على اليد
مثلا فان ذلك عبارة عن فيضان جزء مما في الاناء ووصلا
باليد بل افهم ما يفهم من فيضان نور الشمس على الحايط
ولقد غلط قوم في نور الشمس ايضا فظنوا انه ينفصل
شعاع من جرم الشمس ويتصل بالحايط وينبسط عليه
وهو خطا بل نور الشمس سبب لحدوث شيء يناسب في النوعية

وان كان اضعف منه في الحايط الملون كفيضان الصورة
على المرآة من ذي الصورة لا بمعنى انفصال جزء من صورة
الانسان واتصاله بالمرآة بل بمعنى ان صورة الانسان مثلا
سبب لحدوث صورة تناسبها في المرآة القابلة لحكاية الصورة
فليس فيه اتصال وانفصال الا النسبة المجردة وكذا
الجود الالهي سبب لحدوث انوار الجود في كل ماهية
قابلة للجود فعبر عنه بالفيض فان قيل قد ذكرت
التسوية والنفخ في الروح وما حقيقته وهل هو حال في
البدن حلول الماء في الاناء او حلول العرض في الجوهر
او هو جوهر قايم بنفسه فان كان جوهرا فمتحيز او غير متحيز
فان كان متحيزا فما مكانه القلب ام الدماغ ام موضع
آخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون جوهرا غير متحيز
قلت هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في كشفه لمن ليس هو له اهلا فان كنت
من اهله فاسمع واعلم ان الروح ليس بجسم يحل حلول الماء

في الاناء ولا هو عرض على القلب والدماغ حلول السواد
في الاسود والعلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه
يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات والعرض لا
يتصف بهذه الصفات ولا هو جسم لان الجسم قابل
للقسمة والروح لا ينقسم لانه لو انقسم لجاز ان يقوم
بجزء منه علم بالشيء وبالجزء الآخر جهل بذلك الشيء بعينه
فيكون في حالة واحدة عالما بالشيء جاهلا وهذا متناقض
والعلم والجهل بشيء واحد في شخصين غير محال فلذلك
قلنا انه واحد لا ينقسم وهو غير ما تتعلق به العلما والعقلاء
به من انه جزء لا يتجزا او لفظ الجزء غير لائق به لان الجزء
اضافة الى كل ولا كل لها هنا ولا جزء الا ان يريد به
ما يريد القايل بقوله ان الواحد جزء من العشرة فاذا
اخذت جميع الموجودات او جميع ما به قوام الانسان
في كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها فاذا فهمت
انه شيء لا ينقسم فلا يخلو ان يكون متحيزا او غير متحيز

خطی - فهرست
١٠٥٨٠

وباطل أن يكون متحيزا اذ كل متحيز ينقسم والجزء الذي لا
يتجزأ باطل أن ينقسم بادلة هندسية وعقلية واقربها ان
يقال لو فرض جوهرين جوهر من لكان كل واحد من الطرفين
يلقي من الوسط ما يلقي الآخر فيجوز ان يقوم بالوجه الذي
يلقاه هذا الطرف علم والآخر جهل فيكون عالما جاهلا
في حالة واحدة بشيء واحد وكيف لا ولو فرض بسيط
مسطح من اجزاء لا تتجزى لكان الوجه الذي يحاذينا
ونراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه فان الواحد
لا يكون مرئيا وغير مرئي في حالة واحدة ولكانت الشمس
اذا حاذت احد وجهيه استنار به ذلك الوجه دون
الوجه الآخر فاذا ثبت انه لا ينقسم ولا يتجزأ ثبت انه
قايم بنفسه وغير متحيز اصلا قيل له ما حقيقة
هذه الحقيقة وما حقيقة هذا الجوهر وما وجه تعلقه
بالبدن اهو داخل فيه او خارج منه او متصل به او منفصل
عنه فقال لا هو داخل فيه ولا هو خارج ولا هو متصل

ولا هو منفصل لان مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال
بالجسمية والتحيز وقد انتفيا عنه فانفك عنه الضدين
كما ان الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل لان مصحح العلم والجهل
الحياة فاذا انتفت انتفا الضدان قيل فهل هو في جهة
فقال لا هو مبرء عن الحلول في المحال والاتصال بالاجسام
والاختصاص بالجهات فان كل ذلك صفات الاجسام
التي هي عرض في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض
قيل ما معنى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فشاء
هذا النهر وكشف حقيقة الروح فقال لان الافهام
لا تحتمله فان الناس قسمان عوام وخواص اما من غلبت عليه
طبقة العامة فلا يعقله ولا يصدق في صفة الله تعالى
فكيف يصدق به في حق الروح الانساني ولهذا انكرت
الكرامية والحنبلية موجودا لا جسما مشارا اليه ومن
ترقى عن العامية قليلا نفى الجسمية وما اطاق
ان ينفي عوارض الجسمية فاثبت الجهة ونهى عن هذا

الاشعرية والمعتزلة واثبتوا موجودا لا في جهة قيل
له لم لا يجوز لشخص ان يشير مع هاولاء فقال لانهم
اجالوا ان تكون هذه الصفة لغير الله تعالى فاذا ذكر تمدا
لبعضهم تركك وقال تصف نفسك بما هو صفة الاله
على الخصوص فكانك اضفت الالهية لنفسك قيل
له فلم اجالوا ان تكون هذه الصفة لله ولغير الله فقال لانهم قالوا
لم يستحيل في ذوات المكان ان يجتمع اثنان في مكان واحد
فيستحيل ان يجتمع ايضا في لامكان اثنان لانه انما
استحال اجتماع جسمين في مكان لانه يودي الى ان لا
يعرف الفصل بينهما فاذا جاز اجتماع اثنين في لامكان
فلم يحصل التمييز والفرقان ولهذا لا يجتمع سوادان في محل
واحد حتى قيل المثلان متضادان قيل له فهذا اشكال
فقال اخطوجين ظنوا ان التمييز لا يحصل الا بالمكان
بل يحصل التمييز بثلاثة امور احدها بالمكان لجسمين في
مكانين والثاني بالزمان لسوادين في محل واحد في وقتين

والثالث بالحد والحقيقة للاعراض المختلفة في محل واحد
كاللون والطعم والرودة والرطوبة في جسم واحد فان المحل لها
واحد والزمان واحد ولكن هذه معاني مختلفة الذوات
بحدودها وحقايقها فتميز اللون على الطعم بذاته لا بمكان وزمان
وتميز العلم عن الارادة والقدرة بذاته وان كان الجميع كشيء
واحد فبان تصور اشياء مختلفة الحقايق بذواتها في غير مكان
ولا في قيل له هذا دليل آخر على احالة ما ذكروه
اظهر من طلب التفرقة وهو ان هذا تشبيه واثبات
لاخص وصف الله تعالى في حق الروح فقال
هيهات فان قولنا الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم
والله تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لان ذلك ليس فيه
اخص الوصف وكذلك البراءة عن المكان والجهة
ليس اخص وصف الاله تعالى بل اخص وصفه تعالى
انه قيوم اي قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فانه تعالى
موجود بذاته لا يتغير وكل ما سواه موجود به لا بذاته

بل ليس للأشياء من ذواتها الا العدم وانما لها الوجود من
غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى ذاتي وليس
بمستفاد وهو الحقيقة اعني الهوية ليست الا لله
تعالى وهي اخص اوصافه التي لا يوصف بها غيره
سبحانه وتعالى هذا آخر الكلام في هذا الفصل

فصل ثان قيل قد ذكرت معنى النسوية
والنفخ والروح ولم تذكر معنى النسبة في الروح فانه
تعالى قال ونفخت فيه من روحي فنسبه الى نفسه فان
كان لان وجوده به فجميع الاشياء كذلك وقد
نسب البشر الى الطين فقال الذي خلق بشرا من طين
ثم قال ونفخت فيه من روحي وان كان معناه انه جزء
من الله تعالى فاض على القالب كما يفيض المعطي المال
على السائل فيقول افضت عليه من مالي فهذه تجزية
لذات الباري تعالى وقد ابطلت هذا وذكرت
ان افاضته ليست بمعنى انفصال جزء فقال هذا القول

لو نطقت ببر الشمس مثلا وقالت افضت على الارض من
نوري لكان صدقا ويكون معنى النسبة الى النور الجا صلي
هو جنس نور الشمس على وجه من الوجوه وان كان بغاية
الضعف بالاضافة الى الشمس وقد عرفت ان الروح منزه
عن الجهة والمكان وفي قوة العلم بجميع الاشياء
والاطلاع عليها وهذه مضاهات ومناسبه وذلك
خصيص وهذه المضاهات ليست للجسمانيات اصلا

فصل مسئلة قيل له فما معنى قوله قل الروح من امر
الله ربي وما معنى عالم الامر وعالم الخلق فقال
كل ما يقع عليه مساحه وتقدير وهي الاجسام وعوارضها
يقال انه من عالم الخلق والخلق هاهنا بمعنى التقدير
لا بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشيء اذا قدره
قال زهير ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم
لا يفري
بمعنى يقدر وما لا همزة له ولا تقدير فيقال انه امر ربانى

وذلك للمضاهاة التي ذكرناها وكل ما هو من هذا
الجنس من ارواح البشر وارواح الملائكة يقال انه من
عالم الامر فعالم الامر عبارة عن الموجودات الخارجة
عن الحس والخيال والوهم والمكان والتحيز وما لا يدخل
تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه ولا يتوهم
من هذا ان الروح قديم بل هو محدث ومن توهم غير ذلك
فهو جاهل قد يقول انه غير مخلوق بمعنى انه غير مقدر بكم ولا
مساحة اذ كان لا ينقسم ولا يتحيز ونقول انه مخلوق بمعنى انه
حادث وليس بقديم وبينهما بون طويل ومقدماته
كثيرة لكن الحق ان الارواح البشرية حدثت عند
استعداد النطفة للقبول كما حدثت الصورة في المرآة
بحدوث الصقالة وان كان ذو الصورة سابق الوجود
على الصقل والحاجز هذا البرهان ان الارواح لو كانت
موجودة قبل الابدان لكان لا يخلو اما ان تكون
كثيرة او واحدة وباطل وجودها وكثرتها فباطل ايضا

وجودها واما استحالة وجودها بعد التعلق بالابدان
فلما ضرورة ان ما يعلمه زيد يجوز ان يجهله عمرو ولو
كان الجوهر العاقل منها واحدا استحال اجتماع المتضادين
فيه مما يستحيل في زيد وجهله ونعني بالروح الجوهر
العاقل ومحال كثرتها لان الواحد محال ان يثنى وينقسم
واما تقدير كثرتها قبل التعلق بالجسم فمحال واما استحالة
التماثل لان وجود المثلين محال في الاصل ولهذا يستحيل
وجود سوادين في محل وجسمين في مكان واحد لان
الاثنينية تستدعي مغايرة ولا مغايرة ها هنا وسوادين
في محل جايز لان هذا لا يقارن ذلك في المحل اذ يختص
محل لا يختص به الآخر وكذلك الجوهران في محل واحد في
زمانين اذ هذا وصف ليس للآخر وهو الاقتران بهذا
الزمان الخاص فليس في الوجود مثلان مطلقا بل
بالاضافة كقولنا زيد وعمرو مثلان في الانسانية
والجسمية وسواد الحبرة والعرابة مثلان في السوادية

وَمُحَالٌ تَغَايُرُهَا لِأَنَّ التَّغَايُرَ نَوْعَانِ اَحَدُهُمَا بِاخْتِلَافِ النَّوْعِ
وَالْمَاهِيَّةِ كَتَغَايُرِ الْمَاءِ وَالنَّارِ وَتَغَايُرِ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ
وَالثَّانِي بِالْعَوَارِضِ الَّتِي لَا تَدْخُلُ فِي الْمَاهِيَّةِ كَتَغَايُرِ الْمَاءِ
الْحَارِّ وَالْبَارِدِ فَإِنْ كَانَ تَغَايُرُ الْاَرْوَاحِ الْبَشَرِيَّةِ بِالنَّوْعِ
وَالْمَاهِيَّةِ فَمُحَالٌ لِأَنَّ الْاَرْوَاحَ الْبَشَرِيَّةَ مُتَّفِقَةٌ بِالْحَدِّ
وَالْحَقِيقَةِ وَهِيَ نَوْعٌ وَاحِدٌ وَإِنْ كَانَتْ مُتَغَايِرَةً بِالْعَوَارِضِ
فَمُحَالٌ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ الْوَاحِدَةَ إِنَّمَا تَتَغَايَرُ عَوَارِضُهَا إِذَا
كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالْأَجْسَامِ مَنْسُوبَةً إِلَيْهَا بِنَوْعٍ مَا إِذِ الِاخْتِلَافُ
فِي أَجْزَاءِ الْجِسْمِ ضَرُورَةً وَلَوْنِيَّةُ الْقُرْبِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْبُعْدِ
مِنْهَا مَثَلًا أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ الِاخْتِلَافُ مُحَالًا
وَرُبَّمَا يَحْتَاجُ تَحْقِيقُ هَذَا الْبُرْهَانِ إِلَى زِيَادَةِ تَقْرِيرٍ وَلَكِنْ
هَذَا الْقَدْرُ تَنْبِيهٌ عَلَيْهِ **فَصْلٌ قِيلَ** لَهُ فَكَيْفَ
يَكُونُ حَالُ الْاَرْوَاحِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا الْاَجْسَادَ وَلَا تَعَلُّقَ
لَهَا بِالْأَجْسَامِ وَكَيْفَ تَتَذَكَّرُ وَتَتَغَايَرُ قَالَ لِأَنَّهَا
اكْتَسَبَتْ بَعْدَ التَّزَيِّي بِالْأَبْدَانِ أَوْصَافًا مُخْتَلِفَةً

مِنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ وَالصَّفَاءِ وَالْكُدُورَةِ وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَقُبْحِهَا
فَمِنْهَا مُتَغَايِرٌ بِخِلَافِ مَا قَبْلَ الْاَجْسَادِ فَإِنَّهُ لَا سَبَبَ
لِتَغَايُرِهَا **فَصْلٌ قِيلَ** لَهُ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صُورَتِهِ **قَالَ**
الصُّورَةُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْأَشْكَالِ
وَوَضْعِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاخْتِلَافِ تَرْكِيبِهَا وَهِيَ الصُّورَةُ
الْمَحْسُوسَةُ وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَعَانِي الَّتِي لَيْسَتْ
بِمَحْسُوسَةٍ فَلِلْمَعَانِي أَيْضًا تَرْتِيبٌ وَتَرْكِيبٌ وَتَنَاسُبٌ
وَيُسَمَّى صُورَةً فَيُقَالُ صُورَةُ الْمَسْأَلَةِ كَذَا وَصُورَةُ الْوَاقِعَةِ
كَذَا وَصُورَةُ الْعُلُومِ الْحِسَابِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ كَذَا وَالْمُرَادُ
بِالتَّسْوِيَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ هِيَ الصُّورَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالْإِشَارَةُ
بِهِ إِلَى الْمَضَاهَاةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الذَّاتِ
وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَحَقِيقَةُ الرُّوحِ أَنَّهُ جَوْهَرٌ قَائِمٌ
بِنَفْسِهِ لَيْسَ بِعَرَضٍ وَلَا جِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ وَلَا يَحُلُّ
الْمَكَانَ وَالْجِهَةَ وَلَا هُوَ مُتَّصِلٌ بِالْبَدَنِ وَالْعَالَمِ وَلَا

منفصل ولا هو داخل في اجسام العالم والبدن ولا خارج
وهذه كلها صفات الله تعالى واما الصفات فقد خلق
حيا قادرا سميعا بصيرا متكلما والله تعالى كذلك واما
الافعال فهذه افعال الآدمي له ارادة يظهر اثرها
اولا في القلب فيسري منه اثر بواسطة الروح الحيواني
الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب يصاعد الى
الدماغ ثم يسري منه اثر الى الاعصاب الخارجة من
الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار والرباطات المتعلقة
بالعضد فتجذب الاوتار فتحرك به الاصابع ويتحرك
بالاصابع القلم مثلا وبالقلم المداد وتجذب منه ما يريد
على وجه القرطاس على الوجه المتخيل في خزانة التخيل
فانه ما لم يتصور في الخيال صورته المكتوب او لا يكون
احضرانه على البياض ثابتا ومن استقرا افعال الله تعالى وكيفية
اجرائه النبات والحيوان على الارض بواسطة تحريك
السموات والكواكب وذلك بطاعة الملائكة في تحريك

السموات فجدير ان يعرف الآدمي في عالمه الاصغر
اعني بدنه ويعرف الخالق تعالى في العالم الاكبر وانكشف
له ان نسبة شكل القلب الى الآدمي نسبة العرش ونسبه
الدماغ نسبه الكرسي والحواس الخمس كالملائكة الذين
يطيعون طبعا ولا يستطيعون خلافا فالاعصاب
والاعضاء كالسموات والقدرة في الاصبع كالطبيعة
المذكورة في الاجسام والمواد كالعناصر التي هي ام المركبات
في قبول الجمع والتركيب والتفرقة وخزانة التخيل كاللوح المحفوظ
فبهما اطلع الانسان بالحقيقة على هذه الموازنة عرف
معنى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته
ومعرفة ترتيب افعال الله تعالى معرفة غامضة يحتاج
فيه الى علوم كثيرة وما ذكرناه اشارة الى جملة

فصل

مسئلة قيل فما معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه
عرف ربه **قال** ان الاشياء تعرف بالامثلة او
المناسبة ولولا المضاهاة المذكورة لم يقدر الانسان

على الترقي من معرفة نفسه الى معرفة الخالق جل وعلا
ولولا ان الله تعالى جمع في الادمي ما هو مثال جملة العا
حتى كانه نسخة مختصرة من العالم فكانه رب في عالمه متصرف
لما عرف العالم والتصرف والربوبية والعقل والعلم والقد
وسائر الصفات الالهية فصارت النفس بصفاتها
وموازينها مرقاة الى معرفة الخالق سبحانه في استكمال المعرفة
بالمسئلة التي قدمناها ما يكشف عن وجه هذه المسئلة
فصل قيل له ان كانت الارواح حادثة مع الاجسا
فما معنى قوله عليه السلام خلق الله الارواح قبل الاجسام
بالفي عام وقوله انا اول الانبياء خلقا واخرهم بعثا
وكنت نبيا وادم بين الماء والطين فقال شي من هذا
لا يدل على قدم الروح بل يدل على حدوثه وكونه مخلوقا
نعم ربما دل بظاهره على تقديم وجوده على الجسد وامر
الظواهر هين فان تاويلها ممكن والبرهان القاطع لا
يدرا بالظواهر بل يسلط عليها ويرد الظواهر كما في ظواهر

التشبيه في حق الله سبحانه وتعالى اما قوله خلق الله الارواح
قبل الاجساد اراد بالارواح الملايكة وبالاجساد
اجساد العالم من العرش والكرسي والسموات والكواكب
والهواء والماء والارض كان اجساد الادميين بجملتهم
صغيرة بالاضافة الى جرم الارض وجرم الارض
اصغر من جرم الشمس بكثير ثم لا نسبة لجرم الشمس الى
فلكه ولا لفلكه الى السموات التي فوقه ثم كل ذلك
تسعه الكرسي ووسع كرسيه السموات والارض
والكرسي صغير بالاضافة الى العرش فاذا تفكرت
في جميع ذلك استحقرت اجساد الادميين
ولم تفهمها من مطلق لفظ الاجساد فكذلك فاعلم
وتحقق ان ارواح البشر بالاضافة الى ارواح الملايكة
كاجسادهم بالاضافة الى اجساد العالم ولو اتضح لك
باب معرفة الملايكة لرايت الارواح البشرية بالاضافة
اليها كسراج اقتبس من نار عظيمة طبقت العالم

وتلك الدار العظيمة هي الروح الآخر من ارواح الملائكة
ولأرواح الملائكة ترتيب وكل واحد منفرد بتنبيه ولا
تجتمع في مرتبة واحدة اثنان بخلاف الارواح البشرية
المتكثرة مع اتحاد النوع والرتبة اما الملائكة فكل
واحد نوع برأسه هل كل ذلك النوع واليه الاشارة
بقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله عليه السلام ان الراكع
منهم راكع ابدا لا يسجد والقائم لا يركع وانه ما من احد
منهم الا وله مقام معلوم فلا يفهم اذا من الارواح
والاجساد الا اطلقت عليه ارواح الملائكة واجناد
العالم واما قوله عليه السلام انا اول الانبياء خلقا واخرهم
بعثا فالخلق هاهنا التقدير دون الايجاد فانه قيل
ان ولد ته امه لم يكن موجودا محلوقا ولكن الغايات والكمالات
سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وهو معنى قولهم
اول الفكر في آخر العمل بيانه بضرب المثال ان

المهندس المقدر للدار اول ما يتمثل في نفسه صورة
الدار فيحصل في تقديره دارا كاملة وآخر ما يوجد من
اعماله هي الدار الكاملة فالدار الكاملة هي اول الاشياء
في حقه تقديرا واخرها وجودا الان ما قبلها من ضرب
اللبن وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة
الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار ولاجلها
تقدم الآلات والاعمال فاذا عرفت هذا فاعلم ان مقصود
فطر الآدميين اذا لهم لسعادة القرب من الحضرة
الالهية ولا طريق لهم الى ذلك الا بمعرفة الانبياء
عليهم السلام وكانت النبوة مقصودة بالايجاد والمقصود
كالها وغايتها لا اولها وانما يكمل بسنة الله تعالى في
التدريج كما تكمل عمارة الدار بالتدريج فتمهد اصل النبوة
بآدم صلوات الله عليه ولم يزل ينمي حتى بلغت الكمال
بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان المقصود كمال النبوة
وغايتها وتمهيد اولها وسيلة اليها وكاسيس البنيان

وتمهيد اصول الحيطان فانه وسيلة الى كمال صورة الدار
ولهذا السر كان خاتم النبيين فان الزيادة على الكمال نقصان
فاكمال شكل الالة الباطشة كف عليها خمس اصابع فكما ان
ذا الاربع اصابع ناقص فذو الست ناقص لان السادسة
زيادة على الكفاية فهو ناقصان بالحقيقة وان كان زيادة
في الصورة واليه الاشارة بقوله عليه السلام مثلي ومثل
دار معمورة لم ابق فيها الا موضع لبنة فكنت انا موضع تلك
اللبنة او لفظ هذا معناه فاذا عرفت ان كونه خاتم الانبياء
مرتبة لا يتصور خلافه اذ بلغ الغاية والكمال فالغاية اولك
في التقدير وآخر في الوجود والسلم واما قوله كنت نبيا
وآدم بين الماء والطين فهو ايضا اشارة الى ما ذكرناه
وانه كان نبيا في التقدير قبل عالم خلقة آدم لانه لم تنشأ
خلقة آدم الا لينتزع الصافي من ذريته ولم يزل يستصفي
الى ان بلغ كمال الصفاء بجسد محمد صلى الله عليه وسلم
فصل الروح العدني المحمدي ولا تفهم هذه الحقيقة الا

بان تعلم ان للدارين مثلا وجودين وجودا في ذهن المهندس
ومداده حتى كانه ينظر الى صورة الدار خارج الذهن في
الاعيان والوجود الذهني سبب للوجود الخارج
العيني فهو سابق عليه فكذلك فاعلم ان الله تعالى
يقدر اولا ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا والمهندس
يرسم اولا في اللوح او القرطاس فيصير الدار موجودة بكما
صورتها نوعا من الوجود ويكون هو سبب الوجود
الحقيقي فكما ان هذه الصورة ترسم في لوح المهندس بواسطة
القلم والقلم يجري على وفق العلم فكذلك تقدير صور
الامور الاصلية ترسم اولا في اللوح المحفوظ وانما ينتقش
اللوح المحفوظ من القلم والقلم يجري على وفق العلم السابق
الازلي واللوح عبارة عن خلق من خلق الله تعالى
قابل لنقش الصور والقلم عبارة عن موجد اوجده الله تعالى
منه فيض الصور على اللوح المنتقش فان جد القلم هو الناقش
لصور المعلومات في اللوح واللوح هو المنتقش بتلك الصور

وليس من شرطهما ان يكونا جسمين فالجسمية لا تدخل في حد
القلمية وحقيقته بل روح القلمية واللوحية ما ذكرناه
والدليل عليه صورته لا معناه ولا يبعد ان يكون قلم الله تعالى
ولوحه لا يقاس بما سمعت ويده وكل ذلك على ما يليق بذاته تعالى
وتقدس عن حقيقة الجسمية بل جملتها جواهر روحانية بعضها
عالمة وبعضها متعلمة وبعضا معلمة كالقلم فان الله علم بالقلم فاذا
فهمت نوعي الوجود فقد كان نبينا عليه السلام قبل آدم يعني
الوجود الاول دون الوجود الثاني الجسمي العيني ٥ هـ

مسايل اخر سئل عن قوله عليه السلام من مات فقد قامت
قيامته فقال ليس المعني به ما هو المراد بالقيامة المطلقة
بل هي قيامة خاصة لهذا الميت والقيامة المطلقة ما يعم الكافة
اذا نفخ في الصور وبعثر ما في القبور وذلك ميعاد عند الله
تعالى مخفي عن الخلق ليس من الاسرار الله اعلم به والاوقات
وان كانت متشابهة لكن يجوز في العقل اختصاص
بعض المواقيت ببعض انواع الوجود اما على مذهب

كتب ادهم كتب غنت واسرار المعصوم الذات ... دوران الطور لكن ... الخبر ادهم

المتكلمين فمحال ذلك على المشية مع ان الاوقات متشابهة
بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم واما على مذهب
الفلاسفة فلا تلزم استحالته فانهم متفقون ايضا على
ان مبادي الحوادث حركات الفلك وان ادوارها
مختلفة فلذلك تختلف القرانات واحوال السفليات
وليس من ضرورية كل دورة ان يعرض عود مثلها ويسبق مثلها
فذلك خيال ضعيف على مذهبهم بل يجوز ان يحدث دور
وشكل لم يسبق له نظير وكذلك قد يحدث في بعض
الادوار حيوانات غريبة الشكل لم يعهد مثلها قط ولا
يبعد ان تكون الادوار متناسبة والاشكال الحاصلة
من تربيتها مختلفة فانا اذا فرضنا الفاجر في الماء حصل
منه شكل مستدير فلو القينا مثل الحجر عقيب الاول
قبل انقطاع حركة الماء بالحجر الاول لم يلزم ان يكون شكل
الماء بعد الحركة الثانية كشكله بعد الحركة الاولى لان
الحجر الاول صادف الماء ساكنا والثاني صادفه متحركا

فان تشكل المتروك خلاف تشكل الساكن فتختلف
الاشكال مع تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق
باللاحق فعلى هذا لا يستحيل ان يكون في التقدير
الاول دور مخالف للدور المعهود يقتضي تطابق
الموجود على النمط المعهود ولا يستحيل ان يكون ذلك
بدء عالم يسبق له نظير ولا ان يكون جملة ثابتا لا يلحقه
مثل الدور السابق المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من
الابداع متميزا من جنسه وان كانت تتبدل احاد
احواله فيكون ميعاد القيامة حصول ذلك
الشكل الغريب في الاسباب الغائية ويكون ذلك
سببا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة
الارواح فيكون قيامة عامة بوقت مخصوص لا
تتسع القوة البشرية لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا من
الانبياء فان الانبياء ايضا لم يكشف لهم على قدر
احتمالهم قولهم فاذا لم يقم برهان عقلا فلا سبيل الى علم

استحالته وجب التصديق اذ ورد الشرع به تصريحا
لا يطرق اليه الاحتمال وقد صرح به صاحب
الشرع تصريحا فهم ذلك منه على الضرورة فوجب الايمان به

فصل انكار المنكر لاعادة النفس الى الجسد
في القبر ثم التفريق بينهما ثم اعادتها اليه في القيامة لاجل
قولهم ان قوام روح بلا بدن غير معقول انكار باطل
فان قوام النفس دون الجسد ليس متشكلا بل المتشكل
تعلقه بالبدن فانه كيف تعلق به وليس حالا فيه حلول
الاعراض من الجواهر فانه ليس بعرض بل هو جوهر قائم
بنفسه يعرف ذاته ويعرف خالقه وهو في هذه المعرفة
لا يحتاج الى شيء من الحواس اذ ليس شيء من هذه المعارف
محسوسا والانسان في حاله ملابسة البدن قادر
على ان يقيد نفسه غافلا عن المحسوسات كلها
وعن السموات والارض وسائر الاجسام ويكون
في تلك الحال عارفا بذاته ويجد ذات ذاته وبافقا

الى محدث ذاته ولا يشعر بشيء من محسوساته بذاته معقوله
على هذا الوجه والمجرد لذكر الله تعالى على الدوام في بداية
طريق التصوف يفضي بالمتصوف الى هذه الحالة حتى انه
يغيب عن ذهنه كل ما سوى الله ويغيب ايضا عن نفسه
فلا يخطر في شعوره شيء من المحسوسات والمعقولات
سوى الحق تعالى ولا يشعر بنفسه ولا يقدم شعوره بنفسه
ولا يشعر بشعوره بالحق بل يكون شاعرا بالحق فقط فان
الشعور الشعور بالحق غفلة عن الحق فالمعنى المجرد لمعرفة
الحق كيف يحتاج الى بدن وقالب وكيف لا يستغني بذاته
عن الجسد الذي هو مركب الحواس ولا يراد الا المحسوسات
فمن عقل حقيقة النفس وعلم قوامها بذاتها لم يشكل عليه
انفصالها عن الجسد وربما اشكل عليه اتصالها به
الى ان يعرف انه لا معين له شيء تاثر الجسد به وتصرفه
تحت تصريفه وتحريكه بتحريكه كما يعلم تحرك الاصبع بتصريف
الارادة مع قطعه ان الارادة ليست في الاصبع

لكن الاصبع مسخرة لما ليس فيها فالنفس وان لم تكن في الجسد
فالجسد مسخر لها وهذا التسخير يجوز ان يحدث ويزول ويعود
ولا يستحيل في العقل شيء منه ويكون لعوده وزواله اسباب
لا يحيط بها البشر فعلى هذا الوجه يجب التصديق بما
جاء فيه من التعريف والاعادة

فصل

مسئلة الايمان بالميزان واجب لانه اذا ثبت قوام
النفس بجوهرها واستغناؤها عن الجسد فهي متهيئة بذاتها
لان تنكشف لها حقائق الامور وتعلقها بالبدن كالحجاب
عن درك حقائق الامور وبعد الموت ينكشف الغطاء
ويتجلى له ما كان محجوبا ولذلك قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد وبما ينكشف تاثير اعماله في تقريبه
من الله تعالى وابعاده ومقادير تلك الاثار فان بعضها
اشد تاثيرا من بعض ففي قدرته تعالى اظهار شيء يعرف
الخلق به خطة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة
الى تاثيرها في التقريب والابعاد فالميزان الذي جاء ما يميز

هذه الزيادة من النقصان ومثاله في العالم المحسوس مختلف
فمنه الميزان المعروف بالقفان للاثقال والميزان المعروف بالطيار
للذهب والفضة والاسطرلاب لحركات الفلك والاوفاق
والمسطر لمقادير الخطوط والعروض لمقادير الشعر
وحركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله الله
تعالى للخلق فليس هو مثل ما بايدينا من هذه الامثله
وحقيقة الميزان وحده موجوده في جميع ذلك وهو ما
يعرف الزيادة من النقصان وصورته تلون موجودة
للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله اعلم بما يقدر
من تشكيل حقيقي او تمثيل خيالي فالقدره واسعة
والتصديق بجميع ذلك واجب فصل يجب
التصديق بالحساب لان الحساب عبارة عن جمع
متفرقات المقادير وتعريف مبالغها وما بين انسان الاوله
اعمال متفرقه نافعة وضارة ومقربه ومبعده ولا يعرف
قدرها ولا يحصر اجاد متفرقاتها فاذا حصرت المتفرقات

وجمعت مبالغها كان حسابا وفي قدرة الله تعالى يكشف
للعالمين في لحظة واحدة متفرقات اعمالهم ومبلغ اثارها
فهو اسرع الحاسبين ومعلوم قطعا ان في قدرة الله تعالى
ذلك فلا وجه للانكار فصل الايمان بالشفاعة
واجب لانه عبارة عن نور يبشر من الحضرة الالهية على
جوهر النبوه وينشره ليكمل جوهر استحكمت مناسبته
مع جوهر النبوه بشدة المحبة وكثرة المواظبة على الذكر
والسنن والصلاة عليه ومثاله نور الشمس اذا وقع
على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص من الجدار
لا الى جميع الجدار فانما اختص ذلك الموضع بالانعكاس
لمناسبة بينه وبين الماء في الموضع وتلك المناسبة
منتفية عن سائر اجزاء الحايط وذلك هو الموضع
الذي خرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت
منه زاوية تلي الارض مساوية للزاوية الحاصلة من
الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث لا

يكون أوسع منها ولا أضيق وهذا لا يمكن الا في موضع
مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوصفية تقتضي
الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية
العقلية ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية ومن استولى
عليه التوحيد وتاكدت منه مناسبة من الحضرة
الالهية يشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى
عليه التمسك بالسنن والاقتداء بالرسول صلوات
الله عليه وسلامه ومحبه اتباعه ولم ترسخ قدمه في
ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته الا مع
الواسطة فافتقر الى واسطه في اكتساب
النور كما يفتقر الحائط الذي ليس بمكشوف للشمس
الى واسطة الماء المكشوف للشمس والى مثل هذا
ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا فالوزير الممكن من
قلب الملك يعفو عن جرائر اصحابه لا عن مناسبة بين
الملك وبينهم بل لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك

فافاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بانفسهم ولو
ارتفعت الواسطة لم تثبت لهم العناية اصلا لان الملك
لا يعرف اصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف
الوزير واظهار الرغبة في العفو عنهم فمتى لفظ بالتعريف
واظهار الرغبة فيه شفاعة على طريق المجاز وانما
الشفيع بالحقيقة مكانه عند الملك وانما الالفاظ
لاظهار الغرض والله سبحانه مستغن عن التعريف ولو عرف
الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير لاستغنى عن اللفظ
وجعل المعفو عنه شفاعة لا نطق فيها ولا كلام الله
تعالى عالم به فلو اذن للانبياء بما هو معلوم لله تعالى لكانت
الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا اراد الله ان يمثل حقيقة
الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال لم يكن ذلك
التمثيل الا بالالفاظ المالوفة في الشفاعة وبذلك
دل انعكاس النور بطريق المناسبة ان جميع ما ورد
من الاخبار عن استحقاق الشفاعة معلق بما يتعلق

بالرسول عليه السلم من صلاة عليه او زيادة تقرب او جواب
المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المحبة
له والمناسبة **فصل** والصراط حق وما يقال انه مثل
الشعر في الدقة فهو ظلم في وصفه بل هو اد ق من الشعر
بل لا مناسبة بينه وبين دقة الشعر كما لا مناسبة
بين الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من
الظل ولا من الشمس وبين دقة الشعر وبين دقة الصراط مثل
دقة الخط الهندسي الذي لا عرض له اصلا لانه مثل الصراط
المستقيم وهو ايضا مثل دقة الخط الهندسي والصراط المستقيم
عبارة عن الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة
كالسخاء بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور
والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع
بين الكبر والخساسة والعفة بين الشهوة والجمود والاخلاق
المتضادة لها اطراف افراط وتفريط وهما مذمومان
وبين الافراط والتفريط وسط هو الصراط المستقيم وهو

غاية البعد من الطرفين وهو المركز كما انه ليس من طرف الزيادة
ولا من طرف النقصان كالخط الفاصل بين الشمس والظل
ليس من الشمس ولا من الظل وهذا التحقيق وهو ان كمال الادمي
في مشابهة الملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف
المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك بالكلية
فكل ما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك
عنه وهو الوسط فان الوسط كالجواد ولا بارد والعودي
كالا ابيض ولا اسود والبخل والتبذير من صفات
الانسان والمقتصد السخي الذي لا يميل الى احد الجانبين
لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق
بين الطرفين وهو ادق من الشعر فالذي يطلب غاية البعد
من الطرفين يكون على الوسط سواء ولتقريب ذلك امثالا
وهو اذا فرضنا حلقة محاها بالنار ووقعت فيها نملة فهي
تهرب بطبعها عن النار ولا تهرب الا الى المركز
لان الوسط هو النقطة التي هي غاية البعد من المحيط المجد

وصفا طبيعيا له فان العادة طبيعة خامسة والصراط حقا
قطعا يجب الايمان به كما ورد به الشرع

فصل

قال الامام رضي الله عنه ما سألته من البرهان
على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
فالقول فيه طويل عند من لا يعرفه وحيز عند العارف
فانك اذا عرفت انك محدث والمحدث لا يستغني عن محدث
فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله وما اقرب الى
العقل هاتين المعرفتين اعني انك محدث وان الحادث لا
يحدث بنفسه فاذا عرفت نفسك فانك جوهر خاصيتك
معرفة الله تعالى ومعرفة ما ليس بمحسوس فليس بالبدن قوام
ذاتك فانعدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم الآخر
بالبرهان فانه لا معنى له الا ان الايام يومان يوم حاضر
انت مشغول فيه بهذا ويوم آخر انت فيه مفارق لهذا
الجسد وانه لم يكن قوامك بالجسد وقد فارقته بالموت
فقد حضر اليوم الآخر واذا عرفت انك اذا فارقت المحسوس

وذلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو الوسط
بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر ولذلك
حرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فوجب على كل
شخص ان يكون واردا على النار ورودا ما بقدر ميله
كما قال تعالى وان منكم الا واردها وكذلك قال
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
فلا تميلوا كل الميل فان العدل بين المرأتين في المحبة
والوقوف على درجة متوسطة لا ميل فيه الى احدهما
كيف يدخل تحت الامكان واذا فهمت هذا فاعلم
انه اذا كان يوم القيامة مثل الله تعالى لعباده هذا
الصراط المستقيم الذي طالب كل امرئ بالاستقامة
عليه بمثل ما هو الخط الهندسي الذي لا عرض له
فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم مر
مستويا على ذلك الصراط ولم يمل الى احد الجانبين
لأنه في هذا العالم تعود التحفظ عن الميل فصار ذلك

بمفارقة الجسد بقيت اما منعما بمعرفة الله تعالى التي هي خاصية
ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض
بالميل الى الشهوات او معذبا بالحجاب عن الله تعالى
الذي هو منتهى شهوتك من حيث الطبع الاصلي محو لا بينك
وبين ما تشتهيه الى ان ينفخ في الصور ونحشر من في
القبور ونعود الارواح الى الاجساد ويترك اهل الجنة
الجنة واهل النار النار ويكون العذاب والنعيم متوفر
على الابدان والارواح وتضاف الى الالام اللذات
الروحانية الام حسية ولذات حسية واذا عرفت ان
سبب المعرفة الفكر والذكر والاعراض عن غير الله تعالى
وسبب المرض المانع من معرفة الله تعالى الاقبال على الشهوات
والحرص على الدنيا وعرفت ان الله تعالى قادر على ان يعرف عموم
خلقه ذلك بواسطة الكشف لبعض عباده وعرفت
انه قد فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت
بالنبي واذا عرفت ان هذه التعريفات للانبياء عليهم

انما تكون في كسوة الفاظ وعبارات يوحي اليهم ويلقى في سمعهم
اما في يقظة او منام فقد اثبت بالكتب واذا عرفت ان
افعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى ما فعله
بغير واسطة وان وسايط مختلفة المراتب ايضا الفريقة
هم الملائكة المقربون لكن معرفة هذا الطريق بالبرهان عسر
والقول فيه طويل فصدق الرسل في اخبارهم عنهم وبعد
ان عرفت ان الرسل صادقون بالبرهان فاكشف بذلك
فانه من درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات **مسئلة** ولعلك تقول
هذه اللذات الحسية الخيالية التي وعدت في الجنة
لا تدرك الا بالقوى الحساسة والمتخيلة وهذه القوى
جسمانية ولا يتصور ابداعها الا في الجسم وكذلك
عذاب القبر وعذابهم لا يدرك الا بالقوى
الجسمانية واذا فارق الروح الجسد انحلت
الاجزاء وانحلت القوى الخيالية والحسية فكيف

يمثل لمانع الزكاة بجماع اقرع ويسلط على الكافر في قبره تنين له
تسعة وتسعون رأسا كما ورد في الخبر وهذه الصور امثالية
واما حسية وقد بطل الكل بالموت فكيف سبيل اثباتها
فاعلم ان هذا يستنكره من يبطل حشر الاجساد
ويحيل رد النفس الى الجسد وليس لمن ينكر ذلك دليل
حقيقي بل لا يبعد ان يوضع بعض الاجسام لتخيل النفس
واحساسها بعد الموت في القبر وفي القيامة وكل ما
ذكره الاوائل من الدلالة على استحالته بزعمهم فليس ببرهان
محقق والشرع قد ورد به فيجب تصديقه ودليل انه ليس
ببرهان عند الفلاسفة ان افضل متاخريهم وهو ابن سينا
قد اثبت ذلك في كتاب الشفاء وكتاب النجاة وقال
لا يبعد ان يكون بعض الاجسام السماوية موضوعا لتخيل
النفس بعد الموت وحكى ذلك عن من عظم رتبته اذ قال
وقد قال من لا يحارف من العلماء ان ذلك غير ممتنع وهذه
الصفة تدل على انه شاك في هذا الاصل ولم يقم عنده

برهان عليه ولو كان محالا لما وصف قائله بانه لا يحارف بل اي
محارفة تزيد على القول بالمحال وربما يقول قائل ان ذلك انما
ذكره على سبيل المجاملة والتقية والا فقد ذكر في مسئلة
التناسخ من كتاب النفس استحالة تناسخ الابدان بنفس
واحدة وذلك يصلح دليلا لابطال الحشر للاجساد فنقول
ما ذكره ايضا من استحالة التناسخ ليس ببرهان محقق فانه قال
لو عادت النفس جسدا لاستعد للقبول وفاضت اليه
نفس من واهب الصور فان المستعد يستحق بذاته قبول الصورة
فيودي الى ان تفيض اليه نفس وتتعلق به النفس المستنسخة
فيجتمع نفسان لجسد واحد وهو محال وهذا الذي ذكره
يمكن ان يستعمل في الاعادة وحشر الاجساد لكنه
دليل ضعيف اذ يقال نجوز ان تختلف الاستعدادات
ويكون منها ما يناسب النفس المفارقة الموجودة من
قبل حتى تختص بتدبيرها ولا يحتاج الى افاضة نفس جديدة
فانه لو استعدت في الرحم نطفتان لقبول النفس في حالة

واحدة فاضت اليهما نفسان من واهب الصور واختص بكل
واحد منهما نفس وليس اختصاصه بالحلول فيه فان النفس
لا تحل الاجساد حلول الاعراض لكن اختصاص النفس
باحد الجسدين المستعدين بمناسبة بينهما حيث في
الاوصاف وفي احد المستعدين اختصاص باحد
النفسين دون الاخر فاذا جاز هذا التخصيص في نفسين
متماثلين فلم لا يجوز في النفوس المفارقة واذا تو فر على المستعد
جملة من النفوس المفارقة المناسبة له لم يفتقر الى نفس
جديدة تفيض اليه من واهب الصور اولا تفيض والتقدير
هذا الكلام خوض لست اخوض فيه الآن وانما المقصود
بيان ان من انكر حشر الاجساد لا برهان معه واذا لم يكن
عليه برهان عقلي عول على الادراكات الحسية
والخيالية بعد الموت في القبر وفي القيامة فان
قال قايل نحن نراه لا نجزم له ولا نجزم به قلنا
وقد يرى صاحب السكتة ذلك والادراك يمكن

ان يقوم بجزء لا يتجزأ فلا اعتماد فيه على عدم المشاهدة بحركته
مسئلة وزد الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم م
في القيامة وسيئات المظلوم تنقل الى الظالم ومما يقوى
من لا يفهم اسرار النبوة ان هذا محال لان الحسنات
والسيئات عبارة عن اعمال وحركات قد انقضت وعدت
فكيف ينقل المعدوم بل لو كانت باقية على حالها وهي اعراض
فكيف ينقل العرض فنقول نقل الحسنات والسيئات
بسبب ظلم الظالم واقع في الدنيا وقت الظلم لكن ينكشف
في القيامة فيرى حسناته في ديوان غيره
ولم ينقل ذلك شيء في الوقت بل ينقل في الدنيا وهذا كما
قال تعالى لمن اليوم لله الواحد القهار واخبر بذلك في
الآخرة وهو كذلك في الدنيا لم يتجدد ذلك في الآخرة
لكن لا تنكشف حقيقته لكافة الخلق الا في يوم القيامة
وما لا يعلمه الانسان فليس موجودا له وان كان موجودا
في نفسه فاذا علمه صار موجودا له فكانه وجد الآن في حقه

فقد يتوهم تجدده في تلك الحالة كما يتوهم تجدد الوجود فقد
سقط بهذا قول من قال المعدوم كيف ينقل واما العرض كيف
ينقل فمقول المنقول ثواب الطاعة لا نفس الطاعة ولكن
لما كانت الطاعة تزاد لثوابها عبر عن نقل مقصودها بنقلها
وذلك سايغ في التجوز والاستعارة فان قيل
فثواب الطاعة عرض او جوهر فان كان عرضا فالاشكال
في نقله قايم وان كان جوهرا فما ذلك الجوهر فنقول
اعني بثواب الطاعة في القلب فان للطاعات تاثيرا في
القلوب بالتنوير وللمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار
الطاعة تستحكم مناسبة القلب من استعداده بقبول
المعرفة ومشاهدة الحضرة الربوبية وبالقسوة والظلم يستعد
للبعد والحجاب عن مشاهدة جمال الالهي فالطاعة سبب
هذه المشاهدة بواسطة الصفا والنور الذي يحصل في
القلب والمعصية سبب الحجاب بواسطة الظلمة والقسوة
التي تحدث في القلب ومن اثار الحسنات والسيئات

تفاوت

تفاوت وتضاد ولذلك قال ان الحسنات يذهبن السيئات
وقال عليه السلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والا لام تمحيصا
للذنوب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليثاب في الشوكة تصيب رجله وقال عليه السلم
الحدود كفارة لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم فيقسو
قلبه ويسود ويمحو اثر النور الذي في قلبه من طاعته
فكانه اخبط طاعته والمظلوم يتاذى وتتكسر شهوته
فيستنير قلبه وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من
اتباع الشهوات فقد ارتمى في قلب الظالم من النور الى
قلب المظلوم وانتقل السواد من قلب المظلوم الى
قلب الظالم فهذا معنى نقل الحسنات والسيئات
فان قال قايل ليس هذا نقلا بل حاصله راجع الى
بطلان النور من قلب الظالم وحدوث نور آخر في قلب
المظلوم او بطلان ظلمة من قلب المظلوم وحصول ظلمة
في قلب الظالم وليس هذا نقلا حقيقيا قلنا أتم

النقل قد يطلق على هذا الجنس على طريق الاستعارة كما
يقال انتقل الظل من موضع الى موضع وانتقل نور الشمس
والسراج من الارض الى الجدار وكما يقول الطبيعي اذا
استولت الحرارة في الصيف على وجه الارض انهزمت البرودة
الى باطنها وكل انهزام فهو انتقال وكما يقال نقلت ولاية
القضاء والخلافة من فلان الى فلان وكذلك يسمى نقلا
كنقل الولاية ونقل الظل بحركة الشمس فالنقل الحقيقي ان
يكون ما حصل في المحل الثاني عين ما حصل في المحل
الاول فان كان مثله ولم يكن بعينه يسمى ايضا نقلا
مجازا فهذا معنى نقل الطاعات وليس فيه الا ان كني
بالطاعات عن ثوابها كما يكني بالسبب عن المسبب ويسمى
اثبات الوصف في محل وابطال مثله من محل آخر نقلا
وكل ذلك سائغ في اللسان ومعناه معلوم بالبرهان
لو لم يرد الشرع به فكيف اذا ورد **مسألة** سألت
عن رؤية الحق في المنام تعالى وتقدس وان ذلك مما

يختلف الناس فيه **فاعلم** ان الخلاف في هذا غير متصور
بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة والحق انا نطلق
القول بأن الله تعالى يرى في المنام لكن من لا يفهم
معنى الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يفهم
معنى رؤية الله تعالى ولعل العالم الذي طبعه قريب
من طبع العوام فهم ان من رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقد رأى حقيقة شخصه المودع في
روضة المدينة وانه شق القبر وخرج مرتحلا الى موضع
الرؤية وما اشد جهله ان توهم ذلك فقد يراه الف
رأى في ليلة واحدة في الف موضع فكيف يتصور شخص
واحد في حالة واحدة بصور مختلفة شيخ وشاب وطو
يل وقصير ومريض وصحيح ويرى على جميع هذه الصور ومن انتهت
حماقته الى هذا الحد فقد انخلع عن عريه العقل
ولا ينبغي ان نخاطب فلعله يقول ما رآه مثاله لا شخصه
فيقال هو مثال شخصه او مثال حقيقة روحه المقدسة

عن الصورة والشكل فان قال مثال شخصه الذي هو عظمه
ولحمه فاي حاجة الى تمثل شخصه وشخصه في نفسه متخيل
ومحسوس ثم من راى شخصه بعد الموت دون روحه
فكانه ما راى النبي صلى الله عليه وسلم بل راى جسما كان يتحرك
بتحريك النبي عليه السلم فكيف يكون رائيا له برؤية
مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة التي هي
محل النبوة فما راه من الشكل ليس هو روح النبي وجوهره
ولا هو شخصه بل مثاله على التحقيق فاي معنى لقوله من راني
فقد راى الحق لا معنى له الا ان ما راه مثال صار واسطة
بينه وبينه في توفيق الحق اياه فكما ان جوهر النبوة اعني
الروح المقدسة الباقية من النبي بعد وفاته منزه عن
اللون والشكل والصورة ولكن تعريفه الراي بواسطة
مثال صادق في شكل له لون وصورة فهو حق وان كان
جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله منزه عن
الشكل والصورة ولكن ينتهي الى العبد بواسطة مثال

محسوس من نور او غيره من الصور الجميلة التي تصلح ان
تكون مثالا لا لجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة فيه ولا
لون ويكون ذلك المثال صادقا واسطة في التعريف
فيقول الرائي رايت الله في المنام لا بمعنى اني رايت ذاته
كما يقول رايت النبي لا بمعنى انه راى ذات روحه او ذات
شخصه بل بمعنى انه راى مثاله فان قيل النبي له مثل
والله تعالى لا مثل له قلنا هذا جهل بالفرق بين
المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فان المثل عبارة
عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج الى
المساواة فان العقل معنى ولا يماثله غيره مماثلة حقيقية
وانا اضرب له الشمس مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد
وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف
المعقولات بالعقل وهذا القدر من المناسبة كاف
للمثال في النوم بل السلطان في تعبير الرؤيا يقال
مثاله الشمس والوزير مثاله القمر والسلطان لا يماثل

الشمس في صورته ولا معناه ولا الوزير بمثل القمر الا ان
السلطان له استعلاء على الكافة ويعم اثره الجميع والشمس مناسبه
في هذا القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة اثر
النور وكما ان الوزير واسطة بين السلطان وبين الرعية
في افاضة نور العدل فكذلك القمر واسطة بين الشمس
والارض في افاضة النور وهذا مثال ولا يبين بمثل قال
الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
الآية وأي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكوة والشجرة
والزيت وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها الآية ذكر ذلك مثلا للقرآن والقرآن صفة قديمة
لا مثل له فكيف صار الماء مثلا له وكم من المنامات عرضت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال في رؤية اللبن
هو الاسلام والجبل هو القرآن الى امثال لا تحصى ولا
مماثلة بين اللبن والاسلام وبين الجبل والقرآن الا في
مناسبة وهو ان الجبل يتمسك به للنجاة والقرآن يتمسك به

للنجاة واللبن غذاء الحياة الظاهرة والاسلام غذاء الحياة الباطنة
فهذا كله مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها والله
تعالى لا مثل له واما المثال فانما جاز لمناسبات معقولة
من صفات الله تعالى فاذا عرفت ان الله كيف يخلق
الاشياء وكيف يعلم وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم
الكلام بنفسه مسلما جميع ذلك بالانسان ولولا ان الانسان
عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم مثاله في حق الله تعالى
فالمثال في حق الله تعالى حق والمثل باطل **فان قيل**
هذا التحقيق الذي ذكرتموه ليس يقضي الى ان الله تعالى يرى
في المنام بل الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا
لا يرى فان المرئي مثاله لا عينه فقوله اذا من رآني فقد
رآني هو نوع نحو من معناه كانه رآني وما سمع من المثال
كانه سمع مني **قلنا** وهذا الذي يريده القائل بقوله رايت
الله في المنام لا غير اما ان يريد به انه راى ذاته على ما
هي عليه فلا فاذا حصر الاتفاق على ان ذات الله تعالى

وذات النبي عليه السلام لا يريان في النوم وانما يرى مثالا
يعتقده النايم ذات الله وذات النبي يجوز ان ترى وكيف
ينكر ذلك مع وجوده في المنام فان من لم يره بنفسه فقد
تواتر من جماعة انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد
قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ما جعله
الله تعالى واسطة بين الرآي وبين النبي عليه السلام في تعريف
بعض الامور وفي قدرة الله تعالى خلق مثل هذه الواسطة
بينه وبين العبد وايصال الحق به اليه وهو موجود فكيف
ينكر امكانه فان قيل هذا التجويز في حق الرسول
عليه السلام قد اذن في اطلاقه في حقه ولا يجوز في حق الله
تعالى من الاطلاقات الا ما ورد به الاذن قلنا
قال الرسول عليه السلام رايت ربي في احسن صورة
وهذا مما ورد في الاخبار التي وردت في اثبات صورة
الله تعالى كقوله خلق آدم على صورته وامثال ذلك
وليس المراد به صورة الذات اذ الذات لا صورة لها

الا من حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبريل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في صورة دحية الكلبي وفي غيره من الصور حتى انه
عليه السلام رآه مرارا كثيرة ومما رآه في صورته الحقيقية الا
مرتين وكتمثل جبريل في صورة دحية ليس بمعنى ان ذات جبريل
انقلبت صورة دحية بل بمعنى انه ظهرت تلك الصورة للنبي
عليه السلام مثالا كما يوحي الله ما اوحي اليه وكذلك قوله تعالى
فتمثل لها بشرا سويا فاذا لم نكن تلك الاستحالة في الملك
انقلابا بل يبقى جبريل على حقيقته ووصفه وان ظهر للنبي
عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل اطلاق
ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا منام فهذا مما يدل من
جهة الخبر على جواز الطلاقه وقد ورد عن السلف اطلاق
ذلك ونقلت فيه اخبار وآثار ولو لم يرد فيه اطلاق
لكنا نقول يجوز اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى
صادق لا يمنع منه ولا يحرم الا اذا كان يوهم الخطا عند
المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة

تداول الالسنة فان فرض شخص يوهم عند خلاف الحق فلا ينبغي ان
يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز لنا ان نقول
انا نحن اليه ونشتاق اليه ونريد لقاءه وقد سبق الى فهم قوم من
هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون يفهمون
معناه على وجهه من غير خيال فاسد فيراعى في هذه
الاطلاقات حال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف
وتفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام
وعلى الجملة هذا يرجع الخلاف فيه الى اطلاق اللفظ وجوازه
بعد حصول الاتفاق على جد المعنى من ان ذات الله تعالى
غير مرئية وان المرئي مثال فطن من استحالة المثال في
حق الله تعالى خطأ بل يضرب الله الامثال لصفاته فتنزهه
عن المثل لا عن المثال والله اعلم

١٣ **فصل** اللذات المحسوسة الموعود بها في الجنة من مأكول ومشروب ومنكوح
وملبوس ومشموم يجب التصديق بها لامكانها
فليعتقد امكانها على ثلاثة اوجه حسي وعقلي وخيالي

اما الحسي فلا يخفى معناه وامكانه في الجنة كامكانه في
هذا العالم فانه بعد رد الروح في الجسد وقيام البرهان
على امكانه لا يمنع منه ان بعض هذه اللذات ليست مستعظمة
ولا من غوبا فيها رغبة بالغة كاللبن والاسترق والطلح المنضود
فان هذا قد خوطب به جماعة رغبتهم فيها وفي الجنة ما
يشتهيه كل احد وهذا مما يشتهيه قوم والذين لا
يشتهونه لا يتلذذون بعظم لذتهم بخلق الشهوة فيهم
فان اللذة بحسب الشهوة فليس الوقاع مما يوجب
صورته اللذة بل النظر لي صدق الشهوة والى الله خالق
الشهوة واللذة بحسب الشهوة وكثير من الناس لا تصدق
بواطنهم بلذة النظر لي وجه الله تعالى الا من شاء الله
تعالى وان افراده ظاهرا لانهم اذا انتكوا عن المعرفة
انتكوا عن الشوق وعن ادراك اللذة ولكن الله تعالى
يقوي شوقهم ومحبتهم حتى تعظم لذة الرؤية عندهم في
الدار الاخرة واما الخيالي فلا يخفى امكانه

ولذته كما في المنام الا ان النوم مستحق لانقطاعه على القرب
ولو كانت تلك اللذات دايمة لم يظهر فرق بين الخيالي
والحسي لأن اللذاذ الانسان بالصورة من حيث انطباعها
في الخيال والحس لامن وجودها من خارج فاذا لم توجد
في حسه بالانطباع فلا لذة له ولو وجد المنطبع في
الحس وعدم الخارج للذ به والقوة المتخيلة قدرة
على اختراع الصور في هذا العالم الا ان صورها المخترعة
متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة في القوة الباصرة
ولذلك لو اخترع الصورة الجميلة في غاية الكمال وتوهم
حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه لا يبين بصيرا كما
النوم فلو كان للخيال قوة على تصويرها في القوة الباصرة
كما له قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته
منزلة الصورة الموجودة من خارج ولن تفارق
الآخرة الدنيا الا من حيث كمال القدرة على تصوير
الصور في القوة الباصرة فكل ما يشتهيه يحضر

عنده

عنده في الحال فكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب
ابصاره اي سبب انطباعه في القوة الباصرة ولا يخطر بباله
شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اي يوجد بحيث
يراه واليه الاشارة بقوله ان في الجنة سوقا
يتاع فيها الصور والسوق عبارة عن اللطف
الالهي الذي هو مبدع القدرة على اختراع الصور بحسب
المشيه وانطباع القوة الباصرة يقال انطباعا تاما الى دوام
المشية لا انطباعا معرضا للزوال كما في النوم في هذا
العالم وهذه القدرة اوسع واكمل من الايجاد
خارج الحس لأن الموجود خارج الحس لا يوجد في
مكانين واذا صار مشغولا باستماع واحد ومشاهدة
واحدة وما اشبهه صار مشتغلا به محجوبا عن غيره واما
هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى
مشاهدة الف شخص مثلا في الف مكان في حالة
واحدة لشاهده كما خطر بباله في الامكنة المختلفة

وامّا الأبصار الحاصل عن شخص الشيء الموجود عن
خارج الحسّ لا يكون الا في مكان وحمل امر الآخرة
على ما هو اوسع واوفا بالشهوات واوفق لها اوفى
ولا ينقص من رتبتها في الوجود اختصاص وجودها
للحسّ وانتفاء وجودها من خارج فان وجودها ليس
مرادا لأجله وحظه من وجودها وجودها في حسّه
فاذا وجد نوفر حظّه والباقي فضل لا حاجة اليه انما
يراد لانه طريق الى المقصود وقد يعسر كونه طريقا في
هذا العالم الضيق القاصر الى ما في ذلك العالم
وامّا في ذلك العالم فتتسع الطرق ولا يتغير
هذا الطريق وامّا الوجود الثالث في امكانه
فهو الوجود العقلي وهو ان تكون هذه المحسوسات
امثلة للذات عقلية ليست بمحسوسة لأنّ
العقليات تنقسم الى انواع كثيرة مختلفة الذات
كالحسيات فتكون الحسيات امثلة لها وكلّ

واحد يكون مثالا لأحد اخر مما رتبته في العقليات
توازي رتبة المثال في الحسيات فانك ترى رجلا في المنام
اخضر والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة
بالماء واللبن والخمر والعسل والاشجار المزينة بالجواهر
والياقوت واللآلئ والقصور المبنية من الذهب والفضة
والاسورة المرصعة بالجواهر والغلمان الماثلين بين يديه
للخدمة لكان المعبر لهذا بالسرور ولا يحيله على
نوع واحد بل كل واحد على نوع من السرور ووجه يرجع بعضه
الى السرور العلم وكسفه وبعضه الى سرور المملكة
ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه
الى مشاهدة الاصدقاء وهي وان شملها اسم اللذة فهي
مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد منها
مذاق يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية
ينبغي ان تفهم كذلك وان كانت العين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه

الأقسام من اللذة ممكن فيجوز أن يجمع بين الكل لواحد
ويجوز أن يكون نصيب كل واحد منهما بقدر استعداده
فالمشعوف بالتقليد والجمود على الصور الذي لم
تفتح له طرق الحقايق تمثل له هذه الصور والعارفون
المستبصرون بعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح
لهم من لطايف السرور واللذات العقلية ما يليق بهم
ويشفي شرههم وشهوتهم اذ حد الجنة ان لكل
امرئ فيها ما يشتهيه واذا اختلفت الشهوات لم يعد
ان تختلف العطيات واللذات والعدة واسعة
والقوة البشرية عن الاحاطة بعجايب القدرة الالهية
قاصرة والرحمة الالهية قد الفت بواسطة النبوة الى
كافة الخلق القدر الذي احتملته افهامهم فيجب التصديق
بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى افهامهم من امور تليق
بالكرم الالهي ولا تدرك بالفهم البشري ولا يدرك
ذلك الا في مقعد صدق عند مليك مقتدر

وان

والسلام على من اتبع الهدى ه نجز الاجوبة والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على
مولانا سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما كثيرا

وهذه أسئلة أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر برحمتك
سئل الامام ابو حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه
عن معنى قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما ه هل في القرآن دليل قاطع

على انها سبع سموات كما ابانا عنه الكتاب العزيز وما فائدة
قوله تعالى ومن الارض مثلهن وحيث ورد ذكر
الارض في القرآن لم يرد فيه سبع ارضين كما ورد
في ذكر السموات وما وجه انتظام ذكر القدرة والعلم
اثر ذكر السموات والارضين وما معنى قوله تعالى
وسع كرسيه السموات والارض وما هذا الكرسي وما
صفته وهل هو العلم كما روي عن بعض اهل التفسير
انه العلم واستشهد على ذلك بقول بعض الشعراء
ولا يكرسي علم الله مخلوق اي لا يعلم علمه
وعن قوله عز وجل الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
ما العرش وهل هو فوق الكرسي او دونه وعن قوله عز
وجل والسماء وما بناها وما معنى القسم بها وهل تفضل
في معنى من المعاني الارض لا وعن قوله عز وجل امنتم
من في السماء ان يخسف بكم الارض فاخبر تعالى انه في
السماء وهو تعالى يجب الوجود ولا يصح عليه

الحلول في الاماكن ولا يحويه تعالى عن ذلك وما معنى
قوله تعالى في اهل الجنة والنار خالدين فيها ما دامت
السموات والارض ونعيم الدار الآخرة لا يفنى فقد
اعطى ظاهر ذلك ان السماء والارض غير فانيتين وما
معنى قوله عز وجل وان الدار الآخرة لهي الحيوان والدار
الآخرة على ما وردت به الظواهر مكان يحل فيه ويتمكن
فيه كالارض الا انها اشرف فكيف يصح عليها الحيوانية
وما معنى قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وما
معنى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وعن قول ابرهيم
عليه السلام فيما نص الله تعالى عنه فنظر نظرة في
النجوم فقال اني سقيم هل في ذلك دليل على صحة
القول بالقضاء بالنجوم وانها مؤثرة في هذا العالم
الكاين الفاسد عسى بفضل الامام بالجواب
عن هذه الاسولة وكشف ما وقع في النفس من
اشكال ظواهرها ومخالفتها لما اجمع عليه من جملة ما

عن علم وانها لا توش وهل يطرد ذلك مع دلالة العقل
منعا متطولا فاجاب رضي الله عنه بان قال
امّا الجواب عن قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات الآية فقد توهاه الراسخون من العلماء اذ تكلم
عند افهام الكرة المتوسمين بالعلم فضلا عن العامة وقد
قال ابن عباس لو فسرتها لرجمتموني وخرج عنه ابن ابي
خيثمة لو اعلمكم بتفسيرها لكفرتم وروي عنه ايضا
لقلتم اني كافر لكن ينبغي ان يخص بغريب العلم
على غير اهله كذلك ينبغي ان يبذل لاهله فاعلم
اولا ان عدد الافلاك المحيطة بجميع حركات الكواكب
ثمانية منها سبعة للكواكب السبعة الجارية والثامن
سيأتي ذكره في شرح الكرسي وتفصيل امره وليس في
ذكر سبعة ما ينفي ان تكون تسعة او عشرة ويكون الغرض
من ذكر هذه السبعة تشابهها لانه ليس في كل فلك
منها الا كوكب واحد وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر

بعضها في جوف بعض فاصغرهن اقربهن الى الارض وهي
كرة القمر والثانية لعطارد والثالثة للزهرة والرابعة
للشمس والخامسة للمريخ والسادسة للمشتري والسابعة
لزحل ومراكز هذه الاكر خارجة من مركز الارض في جهات
مختلفة بخلاف مركز فلك الكواكب الثابتة على ما يأتي
بيانه بعد ذكره والدليل على تكوير الفلك انه
لو كان بسيطا على ما يزعم بعض الناس لما كان يجب ان يكون
بعد نواحي السماء منا على قدر واحد بل كان يجب ان
يكون اقرب مواضع السماء منا ما كان محاذيا لرؤسنا
وما جاورذلك الى نواحي الآفاق فكثير البعد واجمع
الحكماء ان جميع الكواكب العلوية والسبعة التي
ذكرنا انها سيارة واحدة في الحقيقة لانها من جنس
واحد وطبيعة واحدة فلا يصح ان يكون بعضها اسرع
من بعض ولا ابطأ من بعض ولا يقطع منها كوكب شيئا
من الفلك الا قطع كل كوكب منها مقدار مسافة ما قطع

ذلك الكوكب من الفلك وانما صار بسير الشمس تدور فلكها
سنة وثلاثين الف دورة لاستتمام الكواكب العلوية
دوره واحده وذلك لصغر قدر مدار الشمس عن مدار
الكواكب العلوية وصار القمر يدور فلكه ثلاث مايه وخمسا
وتسعين دورة قبل ان يستتم رحل دورة واحدة
لصغر مدار القمر عن مدار رحل فاعلاهذه السبعة
رحل ومسيره في كل برج اثنان وثلاثون شهرا ثم يليه
المشتري ومسيره في كل برج سنة ثم يليه المريخ ومسيره
في كل برج خمسة واربعون يوما ثم يليه الشمس ومسيرها
في كل برج شهر ثم يليها الزهرة ومسيرها في كل برج
سبعة وعشرون يوما ثم يليها عطارد ومسيره في كل
برج تسعة عشر يوما ثم يليه القمر ومسيره في كل برج ليلتان
وثلث ليلة والجوزهر يسير في كل برج ثمانية عشر شهرا ه
فان قيل فهل بين كل سمائين خلا فالجواب
ان الخلا ممتنع وجوده وباطل كونه لان الخلا انما

وقع من الهواء لان الحس لا يدركه فيظن الانسان ان الكون
الذي لا ما فيه فارغ خال وما يتوهمه ارباب الخلاء هو شيء مثل
الهواء لان له مقدارا مخصوصا وهو قايم بنفسه ولا
نعني نحن بالجسم الا ما وجدت فيه هذه الصفات
وبهذا الاعتبار كان الهواء جسما فالخلا ليس عدما
محضا فانه يوصف بانه صغير وكبير ومسدس ومربع
ومستدير وانه يتسع لذراعين من الخلاء لا اكثر منه ولو
كان اقل فلا يطابقه والنفي المحض لا يوصف بمثل هذه الاوصاف
وعلى ذلك ادلة غير هذا فهذا دليل على انتفيه
على الجملة واما ما يدل على انه لا خلا بين الافلاك
خاصة فان البعد بعد الزهرة هو اقرب بعد الشمس وذلك
ان القمر اقرب بعده من الارض يكون ثلثا وثلاثين مرة مثل
نصف قطر الارض ونصف ونصف عشر مره وهو مايه
الف وتسعة الاف ميل وستة وعشرون ميلا وابعد
بعد القمر الذي هو اقرب بعد عطارد اربعة وستون مرة

مثل نصف قطر الارض وستة وستين مرة وهو مائتا الف
وثمانية الاف ميل وخمس مائة واثنان واربعون ميلا
وكذلك ابعد بعد عطارد هو اقرب بعد الزهرة
وهو مائة وتسعة وستون مرة مثل نصف قطر الارض
وهو خمس مائة الف ميل واثنان واربعون الف ميل
وسبعمائة وخمسون ميلا وابعد بعد الزهرة هو اقرب
بعد الشمس وهو الف ومائة وعشرون مرة مثل نصف
قطر الارض وهو ستمائة الف واربعون الف ميل
وابعد بعد الشمس الذي هو اقرب بعد المريخ الف ومائتان
وعشرون مرة بنصف قطر الارض وهو ثلاثة الاف
وسبعمائة الف وخمسة وستون الف ميل وكذلك سائرها
فان قيل ان لم يكن بينهما خلا فلعل بينهما هواء
فالجواب ان ذلك باطل من وجهين احدهما
انه اذا كان ابعد بعد احدهما هو اقرب بعد الآخر لم يصح
ان يكون بينهما غيره والثاني انه لو كان بينهما

هواء لكان فيهما كون وفساد وحركة مستقيمة والجاز ان
يخلع الصورة التي هي الهوائية الى الصورة المائية والنارية
فان قيل وما المانع لذلك فالجواب ان حركة
السموات باسرها لما كانت مستديرة فلذلك استحال
الهلال والنقصان عليها لان ذلك لو كان لم يحل اما
ان يكون بزوال العرض منه وهو الاتصال او بزوال
صورته وطبيعته وعدمه من اصله بصورته ومادته
ومحال عليه الانكسار فان معناه ذهاب الاجزاء
طولا وعرضا في جهات مستقيمة وباطل ان يعرض بطلان
صورته عن مادته لان مادته لا تخلو ان تنفك خالية
عن الصورة وهو محال او تلبس صورة اخرى فيكون ذلك
كونا وفسادا ومن صورته تقبل الحركة المستقيمة كهيولى
الهوا فانه اذا خلع صورة الهواء ولبس صورة المائية
لم يتصور الا بان يتحرك اياخر الهوا حركة مستقيمة هي
واما عدمه من اصله اي عدم مادته فهو محال لان كل

مالیس له مادة مشترکة فیستحیل عدمه بعد الوجود
کما یستحیل وجوده بعد العدم وکل حادث فله
مادة امکان فان کان حدوثه قبل حدوثه وصفا ثابتا
فلا بد له من محل فکذلک لا یعدم الشیء الا عن مادة حتی
یبقی امکان وجوده بعد عدمه فی مادته والا لانعدم
انعدا ما یستحیل بعده وجوده ومحال ان ینقلب
الموجود محالا واذا بقی ممکنا استدعی الامکان
الذی هو وصف اضافی جوهرا یقوم به واذا ثبت
استحالة التغیر علیه لم تکن حرکته لشهوة ولا لغضب
فلا یبقی الا عرض عقلی سنذکره بعد فان قیل
فمن این فلکم انها اعدادا مع قولکم انها تسیر مسیرا
واحدا وانه لا یصح ان یبطئ بعضها ویسیر بعضها وان
حرکاتها کلها واحدة وان الاختلاف فی سیرها انما
هو لسعة مدار بعضها وضیق مدار البعض
فالجواب انها لو کانت کلها من نوع واحد

مع ان المشاهدة قد دلت علی کرتها فلا بد ان تکون
انواعها مختلفة ولا تکون من نوع واحد وعلی سبیل لا
احدها انها لو کانت من نوع واحد لکان نسبة بعض
اجزائها الی بعض الاجزاء کنسبة بعض اجزائنا الی
جزء آخر منها ولو کانت کذلک لکانت الکل
سواصلة لا متفاصلة والانفصال لا سبب له الا
تباین الطبع وهذا کما ان الماء لا یختلط بالدهن اذا
صب علیه بل یحاوره مباینا والماء یختلط بالماء ویتصل
به والدهن بالدهن فما نعلم باتصال اجزاء الماء نسبة
بعضها الی بعض نسبة اجزائها الی اجزاء الدهن
بالانفصال فکذلک هنا اذ لا مانع للاتصال مع تشابه
الکل الثانی ان بعضها اسفل وبعضها اعلی
وبعضها جاویة وبعضها محویة وذلک یدل علی تفاوت
الطباع واختلاف الانواع لان الاسفل لو کان
من نوع الاعلی لجاز له ان یتحرک الی مکان الاعلی

كما يجوز في اجزاء الماء والهواء أن يتحرك الى اسفل
واعلى من حيز الماء والهواء ولو جاز ذلك لكان قابلا
للحركة المستقيمة فان قيل انكم جعلتم الافلاك
مستديرة وقد نازع قوم في وجود الزايده وقالوا لا
يتصور شكل يتعين في وسطه نقطة جميع الخطوط
الخارجة منها الى المحيط متساويه فالجواب
ان الحس مدرك الوجود بالحس وهو اما مركب واما
مفرد والمركب لا يكون الا من مفرد فلا بد من اثبات
المفرد والمفرد هو الذي ليس فيه طبايع مختلفة بل
طبع واحد متشابه كطبع الهواء والماء فهذا اذا كان
فيه مقدار بنفسه اما ان يكون له من ذاته شكل
او لا يكون وباطل ان لا يكون له شكل اذ يكون اذ
ذاك غير متناه وقد فرضنا قدرا متناهيا هذا واذا
حدث له شكل فهو اما كرة او مربع او غيره وهو محال
ان يكون غير كرة لان الطبع المتشابه في محل متشابه

لا يوجب شكلا مختلفا حتى يكون يقتضي في بعضه خطا
وفي بعضه زاويه ولا متشابه في الاشكال الا الكره
فواجب ان يكون شكله كريا وايضا فانه لو قطعت الكره قطعا
مستقيما كان المنقطع دايره بالضروره فقد ثبت امكان
الدايره من هذا الدليل وقد تقدم البرهان على تكوير السماء
واما قوله عز وجل ومن الارض مثلهن فمعناه في العدد د
لا في الصفه والهيئه لان الارض ثقيله والفلك غير
موصوف بخفه ولا ثقل بل هو امر آخر غير العناصر وقد
تقدم البرهان على استحاله الخرق والالتيام وفنايه
واستحاله اختلاف الصور عليه والارض وما فوقها الى المقعر
من فلك القمر بخلاف ذلك كله والاشاره بعددها سبعا
الى الاقاليم السبعه فالاقليم الاول يبتدي من
المشرق من اقاصي بلاد الصين وينتهي الى بحر المغرب
والثاني يبتدي من المشرق ثم يمر على بلاد الهند
بعد مروه على بلاد الصين وينتهي الى بحر المغرب ايضا

والثالث يبتدي من المشرق فيمر على بلاد الصين وينتهي
الى بحر المغرب ايضا والرابع يبتدي من بلاد المشرق
فيمر على بلاد الصين وينتهي الى بحر المغرب ايضا والخامس
يبتدي من بلاد المشرق من بلاد ياجوج وماجوج ثم
يمر على بلاد خراسان ثم يمر على بلاد الاندلس حتى
ينتهي الى بحر المغرب والسادس يبتدي من بلاد
المشرق فيمر على بلاد ياجوج وماجوج ويقطع وسط
بحر جرجان وينتهي الى بحر المغرب والسابع
يبتدي من بلاد المشرق ومن بلاد ياجوج وماجوج الى
بحر الروم ببلاد جرجان وينتهي الى بحر المغرب هـ ولكل
اقليم منها نسبة الى الفلك في الطول وهو بعد كل
موضع فيه من اول الربع المسكون مما يلي المشرق والمغرب
وفي العرض وهو بعد الموضع عن دائرة الاستواء وهو
بمقدار ارتفاع القطب عن الافق والارض كرية الشكل
بدليل ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها

وغروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد بل طلوعها
على المواضع المشرقية من الارض قبل طلوعها على
المواضع المغربية ومغيبها من المشرقية قبل مغيبها
عن المغربية وذلك بين من قبل الاعراض التي تعرض
في العلو مثل كسوف القمر فانه اذا رصد في بلدين متباعدين
من المشرق ومن المغرب ووجد مثلا وقت كسوفه في البلد
الشرقي على ثلاث ساعات من الليل كان ذلك في البلد
الغربي على اقل من ثلاث ساعات من الليل بقدر المسافة
بين البلدين وقدرها عن قدر الفلك لقدر النقطة
من الدائرة الصغرى والدليل على ذلك ان جرم كل
واحد بيّ من جميع نواحي السماء على قدر واحد
فيدل ذلك على ان بعد ما بين السماء والارض
من جميع الجهات بقدر واحد فاضطر ان تكون
الارض في وسط السماء ولو لم تكن الارض في وسط
السماء وكانت الى موضع من السماء اقرب منها الى موضع

آخر لوجب ان يكون من سكن بحيال الموضع القريب
من السماء لا يرى منها الا اقل من نصفها ومن يسكن بحيال
الموضع البعيد من السماء كان يجب ان يظهر له
من السماء اكثر من نصفها ابدا وهو خلاف ما يرى
فيها لان جميع الناس في نواحي جميع الارض يظهر
لهم من السماء ابدا ستة بروج ويغيب عنهم ستة
وهذا هو الدليل على ان الارض في صغرها عند
السماء مثل النقطة من الدايرة وفي كل اقليم من هذه
الاقاليم بلاد كثيرة وامم مختلفون الالوان
مختلفو السير والشيم وفي كل واحد منها من الحيوا
والنبات انواع مختلفة وعجايب تقوت الحصر
وكذلك من البحار والانهار والعيون واصناف
المعادن فان قيل فلعلها سبع ارضين
وكل ارض بائنة عن الاخرى وبينهما خلاء او
ملاء قالجواب ان العناصر الاربعة

التي هي النار والهواء والماء والارض في وسط السموات
ولا ينبغي ان تكون خارجا منها ولا يتصور ان يكون
لها في داخلها موضعان طبيعيان بل ينبغي ان يكون
مكان كل واحد من العناصر واحد ولا يجوز ان يكون خارجا
من السموات من حيث انها اجسام تستدعي جهتين مختلفتين
لقبولها الحركة المستقيمة فلا يتصور الا يحيط بها
جسم يحدد جهتها فان فرض خارج السطح الاعلى من
العالم وليس يحيط به جسم فهو محال وان فرض بينهما
اخر حتى يفرض عالمان متجاوران او متباعدان فهو محال
اذ يكون بينهما بعد هو خلاء والخلاء محال لان الجسم
لو كان فيه كان غير ساكن ولا متحرك لان السكون اما
ان يكون بالطبع او بالقسر فان فرض سكون الجسم
في حيز من الخلاء بالطبع فهو محال لان اجزاء الخلاء
متشابهة لا اختلاف فيها وان فرض بالقسر فانما يكون
اذا كان له موضع آخر يلايم على خلاف ما هو فيه واذا

انتفى لاختلاف انتفى الافتراق في حق الطبع والقسر
بعد الطبع واما الحركة فيه فان كان بالطبع فانه يطلب
موضعا مخالفا لما كان فيه ولا اختلاف فيه وكذلك
القسر ولانه يكون ذلك التعدد بجهتين يتصور بينهما
حركة مستقيمة فيحتاج الى ما يوجب اختلاف الجهة
والجسم لا يوجب اختلاف الجهة من خارج فيحتاج الى
جسم ثالث يحيط بهما ويحويهما وذلك ايضا محال
ولهذا نقول انه يجب ان يكون مكان العنصر البسيط
واحد لانه لو فرض له مكانان وتركنا الما مثلا الذي له
مكانان بين المكانين وخلا المكان لا يخلو اما ان يميل بالطبع
الى احدهما فيكون هو المكان الطبيعي له دون الاخر او
يقصد بعضه احدهما وبعضه الاخر وهو محال لان الماء
بسيط متشابه وكل جملة منه فينبغي ان تكون حركته
متشابهة اذ لا مخصص لبعضها حتى يوجب ان يفارق
بعضها بعضا فالمكان الطبيعي للجسم هو المكان الذي لو قدر

مواضع متفرقة وخليت وطبعها تحرك الكل الى ذلك الموضع
واجتمع فيه فمكان الكل ما يجتمع فيه اجزاء الكل والا لا فيؤدي
الى محال فلهذا اجاء لفظ القرآن حيث ورد بذكر الارض ومن
الارض مثلهن ولم يرد ذكر الارضين تنبيها واشعارا انها
تشابهت في العدة دون الوصف فتامل نور البين كيف
اشار الى الحقيقة بلطف اشارة واوجز عباره وذلك
فضل الله يوتيه من يشاء والى هذا السر اشار تعالى بقوله
والسماء رفعها ووضع الميزان اي العدل الذي صارت به
الارض لثقلها الى ابعد البعد فبذلك اخذ كل ما يستحقه
من الصعود والهبوط والعلو والسفل ولا جور اذ لا
عبث ولا خلا على ما سبق برهانه ومضى بيانه واما
قوله تعالى يتنزل الامر بينهن والامر غير الخلق ولله الخلق
والامر وهما متلازمان في الوجود غير ان الامر قبل
الخلق بالسبب لا بالزمان وعالم الخلق نفوس السموات
واجرامها دون عقولها فان قيل من اين قلتم

ذلك والظاهر انها جمادات كالارض وساير العناصر

فالجواب انها متحركة بالارادة اما حركتها فمشاهدة بالدوران حول الوسط ويستحيل ان تكون مثل هذه الحركة بطبع محض خال عن الارادة لان الحركة الطبيعية هرب من موضع لطلب ان يعود بالطبع الى ما فارقه لانه ان كان ملايمًا له فلم يفارقه وان كان منافيا فلم يرجع اليه وما من وضع للسما يفارقه بالحركة الا ويعود اليه وهو زايل عايد على الدوام فلا يكون ذلك بالطبع بل بالارادة والاختيار ولا تكون الارادة الا مع تصور وكل ما له تصور وارادة فانا نميه نفسًا اذ ليس للجسم ارادة وتصور مجرد كونه جسمًا بل بطبيعة خاصة وصورة مخصوصة والعبارة عنها النفس فاذًا حركة السما بالارادة حركة نفسانية ولا يجوز ان يكون محرك السما سببًا عقليا محضًا لا يقبل التغيير والنفس عبارة عن ما يقبل التغيير فالثابت على حالة واحدة

لا يصدر منه الا ثابت على حال واحدة واما اوضاع السما فانها دايما في التبدل فيستحيل ان تكون موجبة ما هو ثابت غير متغير فان كان الموجب هي الارادة فلا بد من تغير الارادة وتجددها فاذًا لا بد من تجدد ارادات جزويه لان الارادة الكلية لا توجب حركة جزويه وكل ما هو متغير بتغير الارادة والتصور يسمى نفسًا لا عقلا والحركة تدل على اثبات جوهر شريف غير متغير ليس بجسم ولا منطبع فيه ومثل هذا يسمى عقلا مجردًا وانما يدل عليه بواسطة عدم التناهي فان هذه الحركة دايمة لا نهاية لها فلا بد ان يكون لها استمداد من قوة محركة ويستحيل ان يكون في الجسم قوة على ما لا نهاية له فان كل جسم منقسم ويقسم بتقدير انقسام القوة فلو توهمنا الانقسام لكان بعض القوة لا يخلو ان يحرك الى غير نهاية فيكون الجزو مثل الكل من غير تفاوت وهو محال واما ان يحرك الى غاية فالبعض الاخر يحرك الى غاية ويكون المجموع متناهيًا فثبت

انه لا يتصور ان يكون قوة على امر غير متناه وتكون تلك القوة
في جسم فان قيل من اين قلتم ان حركتها دايمة ولعلها
حدثت في وقت معين فالجواب ان وجود الاجسام
تحت مقعر فلك القمر معلوم بالمشاهدة وهي قابلة للتركيب
فان الطين مثلا يتركب من الماء والتراب فهذا التركيب
المشاهد يدل على وجود الحركة المستقيمة ويدل من
حيث حدوثها على ان لها سببا ولسببها سبب الى غير
نهاية لجملة المركبات حادثة وكل جملة حادثة
فتدل على حركة دايمة لا نهاية لها فان لم يفرض ذلك لم يتصور
حدوث حادث واذ الحوادث كاينة فلا بد من حركة
دايمة لا نهاية لها وبرهانه ان الحادث بغير سبب محال
اذ لو كان معدوما قبل وكان لا يحدث فانما كان لا يحدث
لافتقار السبب الى مزيد حالة وشريطة ليستعد بها
بالايجاب فاذا لا يحدث السبب ما لم يحدث تلك
الحالة للسبب والسوال في تلك الحالة لازم وانها لم

حدثت

حدثت الآن ولم تحدث قبلها فتفتقر الى سبب وهلم يتسلسل
ويفتقر الحادث بالضرورة الى اسباب لا نهاية لها ولا تخلو
تلك العلل والاسباب اما ان تكون على التساوي موجودة
معا واما على التعاقب ووجود علل بلا نهاية معا محال
باطل وسنبينه بعد فلا يبقى الا التلاحق وذلك
لا يكون الا بحركة دايمة كل جزء منها كانه حادث وجملتها
مطردة لا حدوث لها حتى تكون اجزاؤها سببا لما بعدها
وكذا كل جزء ولو فرض انقطاع هذه الحركة في حالة لاستحال
بعدها حدوث حادث فاذا لم يحدث في حالة فلم يحدث
بعدها فيفتقر الى حادث وذلك الحادث يفتقر الى مثله
فلا يتصور الحدوث ومهما فرضت حركة دايمة انقطع
السوال مثاله ان يقال لم قلتم هذه الحجة في
الارض النفس النباتي الآن ولم تكن قبله بقبله وكان
مدفونا في الارض فيقال لفضل الرودة في
الشتاء وعدم الاعتدال من قبل فيقال ولم حدث

الآن الاعتدال فيقال الحدوث حرارة الهواء فيقال
ولم حدثت الآن حرارة الهواء فيقال لارتفاع الشمس
وقربها من وسط السماء بدخولها برج الحمل فيقال ولم
دخلت الآن برج الحمل فيقال لان طبعه الحرارة وانما
انفصل من آخر الحوت الآن ولم يكن دخول الحمل الا لمفارقة
الحوت وبعد الوصول اليه فيكون مفارقة الحوت سبب
دخول الحمل ويكون كونه متحركا بالطبع مع الوصول
الى الحوت سبب الانفصال منه ويكون سبب
الوصول الى الحوت الانفصال مما قبله وهكذي
يتمادى الى غير نهاية فترجع الحوادث بعلم تسلسل
اسبابها الارضية بالآخرة لامحالة الى الحركة السماوية
لا يمكن ان يكون الا لذلك فان قيل هذا يدل
على ان العالم لم يفتقر لوجوده وانه ازلي الوجود
فالجواب انه لا يخلو ان يكون وجوده
مستحيلا او ممكنا واستحالته محال لانه موجود فبقي

الامكان واذا كان ممكنا فالامكان يستدعي محلا
ومادة تكون فيه ويلزم منه ان كل حادث فمسبقة
مادة فلا يمكن ان تكون المادة حادثة بل قديمة لان
كل حادث فهو قبل الحدوث بالقوة اي هو قبل الحدوث
يمكن الحدوث فامكان الحدوث سابق للحدوث فلا
يخلو هذا الامكان اما ان يكون شيئا حاصلا او عبارة
عن لاشيء فان كان عبارة عن لاشيء فليس لهذا الحادث
اذا امكان فاذا لا يمكن ان يكون فاذا هو ممتنع ان
يكون ولو كان ممتنعا ان يكون لم يكن قط وهذا محال
فاذا ثبت ان الامكان امر حاصل اقتضى العقل به
فلا يخلو اما ان يكون قايما بنفسه جوهرا او اما ان
يكون وصفا مستدعيا لموضوع وباطل ان يقال
ان الامكان جوهر قايم بنفسه لانه وصف مضاف
الى ما هو امكانه لا يعقل قيامه بنفسه فوجب لا
محالة ان يكون له موضوع هو فيه ويرجع حاصل

الامكان الى وصف المحل لقبول التعيين كما يقال لهذا
الصبي يمكن ان يتعلم فيكون العلم ممكنا لهذا الصبي وهذه
النطفة يمكن فيها ان تصير انسانا فيكون امكان وجود
الانسانية وصفا في النطفة فان قيل اذا كان
مذهبكم من اين قلتم انه صنع الباري تعالى والفعل انما
يصح باخراج شيء من العدم الى الوجود فالجواب
ان تعلق الفعل بالفاعل لا يخلو ان يكون من جهة
وجود الفعل او من جهة عدمه السابق او من كليهما
وباطل ان يكون من جهة عدمه لان العدم
السابق لا تعلق له بالفاعل وباطل ان يكون من
كليهما لانه اذا بطل تعلق العدم بالفاعل ولم
يبق الا وجوده فالمتعلق بالفاعل وجود الفعل
لا عدمه فان قيل تعلق به من حيث انه وجوده
مسبوق بعدم يعني ذلك انه موجود بعد عدمه
ولا تاثير للفاعل بهذا المعنى في كونه وجودا

بعد عدم اذ هذا الوجود لا يمكن ان يكون لا وجودا
بعد عدم فهو بعد العدم لذاته ولو اراد الفاعل ان يفعله
وجودا لا يكون بعد عدم لم يمكن فكونه بعد العدم ليس
بجعل جاعل وانما تاثير الفاعل في وجوده نعم يقدر الفاعل
على ان لا يفعل ولا يوجد فاما ان يوجد لا بعد العدم
فهو محال فاذا افتقار الحادث الى الفاعل من جهة وجوده
فقط فانه يمكن من هذه الجهة فاما كونه موجودا بعد
العدم فهو واجب لا يمكن فلا حاجة فيه الى الفاعل
وكون الفاعل علة لا يخلو ان يكون من حيث ان
لغيره وجودا به لا من حيث انه لم يكن ثم كان فانه انما لم يكن
للوجود فيه من قبل لانه لم يكن علة فذلك في حكم عدم كونه
علة لا في حكم كونه علة وفاعلا كما ان الانسان اذا لم يرد
ان يكون الشيء الذي لا يكون الا بارادة ثم اراد فاذا
حصل المراد كان من حيث ان المراد حاصل والارادة
حاصلة لا من حيث ان المراد صار حاصلا بعد العدم

بهذا التقييد فإن قيل لعل السما الاعلى المسمى
العرش علة السما الثانية وهكذا الى سماء الدنيا يكون
كل سماء اعلا علة لما دونه وسما الدنيا علة لعالم الكون
والفساد فالجواب ان السما جسم فان كان اثيرا
ولا يجوز ان يكون جسم سببا في وجود جسم اول وعلة
فيه لان الجسم انما يؤثر في الشي اذا وصل الى مماسته او
مجاورته او موازاته وبالجملة اذا ناسبه مناسبة كما يؤثر
الشمس في اضاة الجسم اذا حاذاه ولم يكن بينهما حايل
وكما يؤثر النار في احراق ما يلاقيه ويماسه فاذا لا بد
وان يكون ثم موجود يلاقيه الجسم الفاعل حتى يؤثر
فيه فيحصل باثره شي آخر فاذا لم يكن وجودا استحال
ان يحدث بالجسم اختراع موجود آخر والدليل على ان
الجسم لا يفعل جسما انه لو فعل فاما ان يفعل بمجرد
المادة او بمجرد الصورة او بالصورة مع توسط
المادة وباطل ان يفعل بمجرد المادة لان حقيقة المادة

كونها قابلة للصورة فان كانت فاعلة لم تكن فاعلة من حيث
انها قابلة بل من وجه آخر فيكون فيها شيئان احدهما مادة
القبول وباعتباره هي مادة الآخر ما به الفعل وهو
الصورة اذ لا نعني بالصورة غيره فتكون المادة فيها
صورة ولا تكون مجردة وباطل ان يفعل بمجرد الصورة
لانها لا توجد بنفسها بل وجودها في المادة وان كان
بتوسط المادة فلما ان تكون المادة واسطة حقيقية
حتى تكون الصورة علة المادة والمادة علة الشي فتكون
الصورة علة العلة وهذا يرجع الى ان المادة من حيث
هي مادة قد فعلت وذلك باطل واما ان
تكون بتوسط المادة من حيث انها بتوسطها تصل
الى الشي حتى يلاقيه ومرة هناك فتؤثر فيها تلاقيه وهذا
يستدعي لا محالة شيا يكون ما هنا وهناك حتى يؤثر
الجسم فيه فان قيل من اين لكم ايها ان عقولنا
المجردة ينبغي ان تكون كثيرة ولا تكون واحدا ولا اقل من عدد

الأجسام السماوية لأنها مختلفة الطبايع وممكنة
الطبايع وممكنة فيحتاج وجودها الى محله والواحد
لا يتصور منه الا واحد فلا بد من عدد حتى يصدر
من كل واحد واحد وينبغي ان تختلف بالنوع حتى
يصدر منها انواع مختلفة والكثرة بالعدد ولا يتصور في
نوع واحد الا بكثرة المادة وما ليس في مادة فلا يكثر الا
باختلاف النوع وهو الاختصاص بفعل يباين به الآخر
ولا يكون عارض اذ يستحيل ان يلزم الشيء عارض لا يوجد
نوعه فاذا لم تكن مادة ولم تكن كثرة الا بالنوع وهذه
العقول ينبغي ان تكون معشوقا للكل واحدة في حركتها
فانه بان في الرياضيات ان حركاتها مختلفة فلو كان المطلب
واحدا لكان الطلب واحدا فتكون الكل واحد نفس تخصه
بحركة بطريق المباشرة وعقل مجرد يخصه بحركة بطريق
العشق وتكون النفوس هي الملايكة السماوية لاختصاصها
باجسامها وتلك العقول هي الملايكة المقربة لبراءتها عن

علايق المواد وقربها في الصفات من رب الارباب
فان قيل الامر من الفاظ الاضافات يدل على آمر
ومأمور به ومأمور فمن الآمر من المأمور ودوام الشيء
المأمور به فالجواب ان الآمر هو الباري عز وجل
فان قيل ما الدليل عليه فان المتكلمين قد استدلوا على
وجوده بدلايل واهية قصارها تمثيل لانهم قالوا البناء
يدل على بان والكتابة على كاتب فالعالم هذا ينبغي ان
يكون بل اجرى لهذا به صنعته وكثرة عجايبه وفنون حكمته
وربما جردوا قالوا نظرنا الى البيت مثلا فرأيناه
جادثا ومصورا ثم نظرنا الى السماء فرأيناه مصورا فقلنا
الجالم اليه وقلنا كل جسم مصور فهو جادث فياس على
البيت وهو باطل لانه يحتمل ان يقال ليس الحكم في الاصل
معللا بالتصوير بل لعله قاصر على ذاته لاستعداده لكونه
بيتا مثلا وان ثبت ان غير البيت جادث يكون معللا
بما يجمع البيت وذلك لا ينفي الى السماء فالجواب

ان العالم المحسوس ظاهر الوجود وهو اجسام واعراض
انيتها غير ماهيتها وما كان كذلك فهو ممكن واذا كان
ممكنا فهو محدث ولا يكون موجودا بنفسه بل بغيره والعلل
لا يخلوان تتسلسل او تتناهى فان تناهت فذلك الطرف
اما واجب الوجود او غيره فان كان غيره فذلك الطرف
اما ان يكون له علة او لا علة له فاما التسلسل فباطل لأن
عللا لا نهاية لها اذا فرضت مترتبة بحيث يكون بعضها علة لبعض
فلا بد وان تنتهي لما علة ليست بمعلولة وهي طرف فتناهي فان
كانت لا تنتهي لطرف بل تتمادى فلا شك في ان جملة تلك
العلل التي لا نهاية لها داخلة في الوجود من حيث هي جملة
اما ان تكون ممكنة معلولة او واجبة وباطل ان تكون واجبة
لان الجملة حصلت باحاد معلولة والحاصل بالمعلول لا
يكون واجبا فلا بد وان تكون معلولة فتفتقر الى علة خارجة
عن تلك الجملة فان كل ما هو من تلك الاحاد فقد اخذناها في
الجملة وثبت الحكم على الجملة المشتوعبة للاحاد بأنها
معلولة فافتقرت الى علة خارجة ليست بمعلولة فتكون
طرفا لا محالة ويصير متناهيا فان قيل ان تناهت بذلك
فلعلة غير واجب الوجود قيل لو كان ذلك لجاز
ان يكونا اثنان وذلك باطل لانه لا يخلوان يتشابها
من كل وجه او يختلفا فلو تشابها من كل وجه بطل التعدد
لان الكل لا يصير خاصا الا بفعل او عارض يختص به فان
اختلفا بفعل او عارض فهو محال لان الفعل والعارض لا مدخل
له في حقيقة ذات الكلي فان قيل لعل ذلك
الطرف علة شيء من معلولاته وهذا ايضا محال لانه يؤدي
الى ان يكون المعلول علة اذ معلول المعلول معلول
فكيف يعود علة وعلة العلة علة فكيف يعود معلولا فلم
يبق بالبرهان الا الارتقاء الى طرف هو واجب الوجود
فلواجب الوجود صفات كثيرة قد ذكرناها في موضعها
لان هذه بنذه الغرض منها ان ما جاء في الكتاب العزيز
مطابق للحقيقة ومبني عليها وذلك هو الايجاز الذي اراده

المتكلمون ووقعوا دونه فان قيل فما امره فالجواب
انه ما يصدر عنه بغير واسطه فان قيل وما ذاك
فالجواب انه لا يصح ان يصدر عن واجب الوجود
بغير واسطة الا شيء واحد وانما تصدر عنه اشياء كثيرة
على ترتيب وبوسايط لانه متشابه واحد لا كثرة فيه
وانه لا يجوز ان يكون له صفة زايدة على الذات لانه ان
كان ينعدم وجوده بزوال تلك الصفة حتى يبطل
وجوده بتقدير عدمها فقد تعلق بها وصار مركبا
من اجزاء لا تلزم ذاته الا بمجموعها وكل مركب من اشياء
فهو معلول وان كان لا يلزم عدمه من تقدير عدم تلك
الصفة فهي عرضيه كالعلم في الانسان مثلا وذلك محال
لان كل عرض معلول وايضا فان الكثرة اما ان تكون كثرة اجزاء
تستقل آحادها كثرة الجسم او بكثرة المعنى كالصور
والهيولا او كالوجود والماهية وذلك ينتفي عنه لانه
وجود غير مضاف الى ماهية فلا يبقى الا الوحدة من كل

وجه والواحد لا يصدر منه الا الواحد برهانه انا
اذا عرضنا جسما على شيء فمسخنه ووضعناه على آخر فردة
فعلم ضرورة ان بينهما اختلافا فلانهما لو تماثلا لتماثل
فعلاهما فمهما استحال وجود شيئين مختلفين عن ذاتين
غير مختلفين فبان يستحيل عن ذات واحدة اولى لان الشيء
عن غيره ابعد منه عن نفسه فاذا كانت مماثلة للغير
توجب ان لا يخالف فعله فعله مماثلة لنفسه اولى بذلك
والمماثلة في النفس مجاز لكن المقصود التفهم وكل ما
شابه الموجود الاول الصادر عن واجب الوجود في
البراءة عن المادة يسمى بالامر وهي عشرة في العدة احدها
العقل المدبر لعالم الكون والفساد فان قيل
فما المامور به فالجواب ان الاجسام السماويه
لما كان لها نفوس على ما تقدم برهانه وكانت حركاتها
الدايمة تدل على اثبات عقول مجردة لها كان لها طلب
لما هو خاصيه واجب الوجود وهو انه دايما بالفعل

ليس فيه شيء قايم بالقوة اذ كون الشيء بالقوة نقصان اذ معناه
فقد كمال ممكن حصوله والجسم السماوي لا يكون بالقوة في
جوهره فانه ليس بحادث ولا في اعراضه الذاتية ولا في شكله
بل هو في الفعل لان له في الاشكال افضلها وهو الكرية
ومن الهيئات افضلها وهي الاضاءة والشفيف وانما بقي
له امر واحد على وضع آخر اذ لا يمكن ان يكون على وضعين
في حالة واحدة واذ لم يمكن جميع ذلك بالفعل وامكن
الجميع بالنوع على سبيل التعاقب فاذا الجسم السماوي
مهما تكلف واستثبت انواع الاضافة لنفسه بالفعل
دايما فقد تشبه باجرام العقلية الشريفة بحاية ما يمكن
في نفسه ويكون ذلك من طلبه للتشبيه عبادة لرب العالمين
فهذا هو المامور به **فان قيل** فكيف يتنزل الامر
بين السماء والارض والامر هو المعقول المفارقة البرية
لا يصح عليها التغير ولا زوال ولا زمان ولا امكان
فالجواب ان العرب قد تخبر عن الشيء بالسبب

الموفق له وعلى هذا قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فسمى النبات باسم ما هو سبب المطر فسموه به لما كان منه وما
هو الاصل في وجوده الا ترى ان ملك قطر من الاقطار
لو كتب عنه كاتبه رسالة ضمنها الفاظا تدل على امره
ونهيه فجاء بذلك رسوله الى قطر نائي عنه حسن ان
يقال ورد امر الملك بكذا او امره قايم بذاته وصفة من
صفاته لا يصح ان ينتقل عنه لانه عرض لا يقوم بنفسه فلما
كان سبب حركة الفلك جواهر مفارقة لا يصح ان تكون في
مفادة وسميت امرا وكان كما في مقعر فلك القمر من المادة
المشتركة والعناصر الاربعة والامزاجات الخمسة
الي على المعادن والنبات والحيوان البهيمي والناطق
وحوادث الجو اما من اجرام السماوي وهي محركة المادة
واما من واهب الصور وهو مثبت صورة كل ذي
صورة في مادة والجرم السماوي مناخ بالنسبة

العقول المفارقة لان العقل الاول هيئة انيّنية احدها
له من الاول والاخرى من ذاته فيجعل من ذلك ملك
وفلك ويبغي ان يحصل من الوصف الاشرف والوصف الذي
له من الاول هو الوجود اشرف فيحصل منه عقل ثان
باعتبار كونه واجبا والفلك الاقصى باعتبار
الامكان الذي هو له كالمادة ويلزم من العقل
الثاني عقل ثالث وفلك البروج وهكذا الى فلك
القمر فثاني الموجودات تسعة عشر عقولا
وتسعة افلاك فكل نازل من الصوريين عالم الكون
والفساد فواهبه العقل الفعال باستعداد او
امتزاج وحركات فلكية موجبة للملك والعقل
الاول وما يليه مما هو جنسه هو السبب في ذلك
ونسب ذلك الى الامر جملة فلم تبق هذه الآية من الوجود
شيئا الا انبأت عنه صريحا او ضمنا فان قيل
فنفوس الآدميين من اي قبيل هي من عالم الخلق ام

الاشرف

من عالم الامر فالجواب انها احدثت من كلي
العالمين بقسط وضربت في كلي الطرفين بخط وهي
جوهر قايم بنفسه ليس بجسم ولا منطبع فيه ولا يفنى
بفناء البدن بل يبقى ابد الدهر اما متلذذا واما
متألما برهانه ان المعقول المجرد يحصل في نفس الانسان
مجردا عن الوضع والقدر وتجرده لا يخلو ان يكون باعتبار
محله او باعتبار ما منه حصل فان الانسان اما يبلغ
جد الانسان وحقيقته من انسان شخص له قدر مخصوص من
لكن العقل مجرد عن القدر والوضع والا لكمل ما حل
في ذي قدر ووضع فيكون له نسبة قدر ووضع لا
محالة ولا تفنى لانها جوهر بسيط لا يتصور عليه
عدم لان العدم اما يكون بخلع صورة واخذ
صورة ومحال ان تفنى المادة وقد تقدم برهان
ذلك وليست بمادة بل هي في حكم صورة قايمة بنفسها
كالمفارقات العقليات التي تقدم ذكرها وليست

حادثة بالأجساد اذ لا يجوز ان تكون الأجسام سببا
لاختراع ما ليس بجسم بل سببها واهب الصور وهو جوهر
عقلي ازلي ويبقى المعلول ببقاء العلة وتلك الجواهر
باقية وهي حادثة مع الجسد لأنها لو كانت موجودة
قبله لكانت النفوس اما واحدة واما كثيرة فان الكثرة
لا تكون الا باختلاف وتغاير بالعوارض فاذا لم تكن
مواد هي عوارض بها يقع الاختلاف فلا يتصور الاختلاف
وحدوثها بالجسد برهان ذلك ان العلة لو صدر منها
نفس لكانت اما واحدة او اثنين او عددا غير متناه في
كل لحظة وكل ذلك محال اذ ليس عدد اول من عدد
فلا مرجح للأعداد ولو اقتصر على واحد فلا يخصص
للواحد فان امكان الثاني فيه كامكان الاول فلما لم
يترجح امكان الوجود على امكان العدم بقي العدد مستمرا
الى ان استعدت النطفة لأن تكون آلة للنفس يسعل
بها امكان وجودها او يأس من عدمها واختص عددها بعدد

النطف

النطف المستعدة في الارحام وهذا شرط لابتداء
الترجيح للوجود على العدم فبعد الوجود يكون بقاؤه
بعلته لا بالمرجح من حيث عدوها على الزمان والمكان
والتركيب اخذت من عالم الامر بتسط ومن حدوثها
اخذت من عالم الخلق بخط لكن وقعت النسبة في
الكتاب العزيز اليها انها من عالم الامر لغلبة الارفع من احوالها
واشرف جناتها فقال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا لأنها لا تدرك بحس ولهذا كان الانسان
فيه اخذ شبها من البهيمة والملائكة وكان للنفس نظر الى
عالم الامر ونظر الى عالم الخلق وبهذه اللطيفة اشرف الانسان
على عالم الغيب في المنام اذا صدقت الرؤيا لأن النفس
في تلك الحالة بقي فارغة عن شغل الحواس فتستعد
للاتصال بالجواهر العقلية التي فيها نفس الموجودات
المعبر عنها في الشرع باللوح المحفوظ كانطباع صورة مرآة
في مرآة اخرى تقابلها عند ارتفاع الحجاب بينهما فكل واحد

في احدي المرآتين يظهر في الاخري بعرضها وللاعجاز
والكرامة ثلاثة امور احدها قوة خاصة في قوة النفس
وجوهرها التوثر في هيولي العالم بالة صورة
والثاني في القوة النظرية وهو ان تصفو النفس
صفاء يكون شديدا الاستعداد للاتصال بالعقل
الفعال حتي تفيض عليها العلوم فان النفوس قد تقوي
حتي لا تحتاج الي التعليم الثالث القوة المتخيلة بان
تقوي النفس وتصل في اليقظة بعالم الغيب وتري
وتسمع ما كانت تراه وتسمعه في النوم فتكون الصورة
المحاكية للجواهر الشريفة صورة عجيبة في غاية الحسن
وهو الملك الذي يراه النبي او الولي فمن اجتمع له هذه الثلث
فهو النبي الافضل وهي الدرجة القصوي من درجات الانسان
وهو متصل بدرجات الملائكة وقد يكون للواحد خاصيتان
من هذه الثلاث وقد تكون واحدة وقد لا يكون الا مجرد
الرؤيا وقد يكون له من كل واحد شئ ضعيف وبه تتفاوت

مراتبهم

مناظرهم في القرب من الله تعالي وملائكته واما قوله عز وجل
لتعلموا ان الله علي كل شئ قدير الاية فلام لتعلموا في
اللسان العربي تسمي لام كي وهي تعطي التعليل فيحتمل
ان يراد ذكر ناهذا لكي تجتهدوا حتي يقع لكم يقدرة الله وعلمه
ويحتمل ان يراد بها ان الامر اتصل لكم بنور النبوة لتعلموا
ان الله يقدر علي كل شئ ويعلمه فان قيل فما الدليل
علي كون الباري تعالي قادرا قلنا لانا نعلم ان القادر
عبارة عن من يفعل ان شاء ولم يفعل ان لم يشا وهو
تعالي بهذه الصفة لان مشيته علمه ان ما علم الخير فيه فقد
كان وما علم ان الاولي ان لا يكون لم يكن فان قيل
فما الدليل علي كونه عالما وما معناه فالجواب ان معني
كونه عالما انه بري عن المادة فهما فرضنا حلول مجرد
في بري كان الحال عالما وكان المحل عالما اذ لا معني للعلم
الا انطباع صورة مجردة عن المواد في ذات بريئة
عن المواد فيكون المنطبع عالما والمنطبع فيه عالما

وعلمه بذاته ليس بزايد على ذاته اذ العلم هو نفس المعلوم
ومثاله المطابق له وهو المدرك المعلوم اي المثال
الذي ينطبع في النفس فالاول عالم بنفسه وعلمه
ومعلومه هو هو واذا علم ذاته وحقيقته انه وجود
محض وهو ينبوع وجود الجواهر والاعراض والماهيات
كلها على ترتيبها فان علم نفسه مبدأها فقد انطوى العلم
بها في علمه بذاته ولا يودي ذلك لي كثرة بذاته فاذا
معنى كونه عالما انه على حالة بسيطة ينبسط بها الى سائر
المعلومات واحد ولما كان للعالم امرا وخلقا والوجود
قديما ومحدثا والقديم ذات وصفات والكل صادر من الاول
على الترتيب الذي سبق ذكره دل تناهي العلل المترتبة
التي يكون بعضها علة للبعض على واجب الوجود ولما كان
الوجود كله ذات الباري سبحانه وتعالى وصفاته
وافعاله واستحال الخلا وكل ما عداه امر وخلق
فقد جمعت الاية ذكر ما تقدم ذكره من الامر والخلق

ومن خلقه وقدرته وعلمه بحيط بالكل مما عداه ولذلك
انتظم بذكر خلق السموات والارض ذكر القدرة
والعلم اذ علمه كان الكل وبقدرته لا اله غيره ع
واما قوله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض
فقد اختلف المفسرون في المراد بلفظ الكرسي ما هو
فقيل علم الله وقيل قدرته وقيل هو العرش يروى ذلك
عن الحسين وقيل بين يدي العرش قاله ابو هريرة
ويروى عنه عليه السلم انه قال ما السموات السبع
والارضون السبع في جوف الكرسي الا كحلقة ملقاة في
فلاة وما السموات السبع والارضون السبع والكرسي
في جوف العرش الا كحلقة في فلاة وهذا اصح الاقوال
في الاية وعليه تدل اذا حملت على ظاهرها وهي منبيه
عن التكوين في السماء والارض وهو اعني الكرسي
الفلك الثامن الذي في جوفه السبعة الافلاك
ويسمى بفلك العلوية وفلك البيبانية وفلك ثابتة

وفلك كواكب الهداية والفلك المكوكب وانما سمي
فلك العلوية لان كواكبه اعلي مراتب من الكواكب
السبعة ويسمي فلك البيبانية بهذا المعني ايضا
وذلك ان البيبانية بلسان الاعاجم المستعملة
ويسمي فلك الثابتة لان كواكبه ثابتة في الغرض لا
تتحرك يمينا ولا شمالا ابدا لانها لاجوز هرات لها ولا ان
اجرامها مركبة في افلاكها لا يسير منها كوكب الا ما سار
به فلكها ولان مسير فلكها في الطول مسير بطيء السو
مدارها حتي لقد ظن بعض الجهال انها لا حركة لها
اصلا وليس ذلك كذلك ويسمي فلك كواكب الهداية
لان كواكبه يهتدي بها في البر والبحر ويسمي الفلك
المكوكب لانه يجمع الكواكب التي في الخلق الثماني
والاربعين التي ابنا عنها ارسطاطاليس الحكيم باسمائها
والكواكب فيها علي السبعة الجواري المتحيرة وفي الخلق
الثماني والاربعين الف كوكب واثنان وعشرون كوكبا

وله حركة واحدة شرقية والاجرام الاخر لها حركات كثيرة
علي ما برهن في المجسطي فان قيل لم صار في الفلك
الاول ذي الحركة الواحدة نجوم كثيرة لا تحصي وصار في
الافلال التي في كل فلك منها ذوات الحركات الكثيرة كوكب
واحد فالجواب انه مما ينبغي ان يعقل وقد برهناه
فيما تقدم ان الفلك الاول بدو وعلة هي حياة كل جزء و
اصل من سائر الافلال جزاولذلك الاول تحرك اجراما كثيرة
وصار كل فلك من هذه الافلاك يحرك كوكبا واحدا نقول
ايضا انه لحق صار الفلك الاول وهو واحد يحرك اجراما
كثيرة روحانية وصارت سائر الافلال وهي كثيرة يحرك
كل واحد منها جرما واحدا فقط وذلك ان كل فلك من
الافلاك المتحيزة يتحرك حركات كثيرة والفلك الاول يحرك
حركة واحدة فقط فعلي هذا عدلت الطبيعة بينهما وسوتها
وصيرت لها شرطا ومرتبة اول انها اعطت المحرك الواحد
اجراما كثيرة واعطت الجرم الواحد حركات كثيرة وايضا

العرش فهو الفلك التاسع وهو فوق فلك البروج الاثني عشر
وليس فيه كوكب ونقطة مركزه نقطة مركز الارض وهو آخر
عالم الخلق لاسمائه الخلاق وهو يدور من المشرق الى
المغرب دورة واحدة بين يوم وليلة ويدير معه سائر
الافلاك ولكل فلك منها حركة خصه نفسه وهو محرك
ولا يمتنع ذلك كما ترى تدب عليها النملة ومن حيث احتوى
على جميع الخلق عظم البارئ امره وشهر ذكره وقدره
وفي هذه الايات تنبيهات على اعمال النظر وايقاظ
للغافل عن السنة والفكر لانه من عرف الافلاك بالبرهان
تنبه لطلب اسباب حركاتها وترقى الى علم علل الامور وحصل
في الحضرة العلية بنفسه الروحانية وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء واما قوله عز وجل والسماء وما بناها فقد
قال بعض اهل اللسان ان ما ها هنا بمعنى من اي والسما
ومن بناها وقيل والسما وبنائها فاما القسم بهاذين
الامرين فلشرفها على بفضل هيئتها فان لها نفسا وعقلا

وانها ليست مما تكون وتفسد واما قوله امستم من في
السماء ان يخسف بكم الارض فلان الجرم السماوي
لا يمكن ان يقبل زيادة ولا نقصانا فيجب ان لا يقبل
التغيير والاستحالة فاذا كان دايم الثبات كان لا يدخله
الهرم والتغيير ولا يقبل الانشاء ويشهد القياس في ذلك
للعيان والعيان للقياس ولذلك جاء في الكتاب
العزيز انه مسكن الروحانيين لان الشيء الذي لا يقع عليه
الفساد ولا يدخله الزوال ينبغي ان يكون في الموضع الذي
لا ينقص ولا يفسد واما قوله عز وجل خالدين فيها ما
دامت السموات والارض فلما كان لا يقبل الانخراق
اعني الفلك ولا ينفي كما انه لم يحدث بعد ان كان بعدما
لان نعيم الآخرة وعذابها لا اخر له لانه لنفس بسيطة
يستحيل عليها الفنا فان قيل في الكتاب العزيز
انها حادثة بعد ان لم تكن وفانية بعد تكونها قيل
قد تقدم البرهان القطعي الذي لا يتأتى في تاويله ولا

يعرض عليه لشيء يزيله انها اعني الاقلال ازلية الوجود مستحيل
فناؤها فمعنى ما ورد في الكتاب العزيز من حدوثها وايجادها
بعد ان لم تكن معناه انها ليست فيها سببا لايجاد انفسها
بل فلكها اسباب اوجدتها وهي عقولها المفارقات فهي
متقدمة عليها بالسببية لا بالزمان فعرف ذلك يتقدم
زمان يتيهها للعقول والافهام اذ ليس كل من سمع هذا
الكتاب الكريم يفهمه حق فهمه ولذلك قال عليه السلام
ما من آية الا لها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد
مطلع وقد اخبر تعالى ان العرش كان قبل المخلوقات اي
سببها الجسماني واعلاها في ذلك وما ورد من فنائها
وانشقاقها ونثورها فمعنى ذلك بحق من فقدها
واما قوله عز وجل وان الدار الآخرة لهي الحيوان
فالآخرة عبارة عما يصير المرء اليه بعد موته فسمى ما يخرج
اليه اولا بالدنيا لقربها منه وقربه منها وسمى ما يصير اليه
بعدها بالآخرة لتاخرها عن اول احواله ونعيم الآخرة

على ضربين احدهما ان النفس اذا سعدت بالاستعداد
لقبول فيض العقل الفعال والتست بالاتصال به
على الدوام انقطعت حاجتها عن التعلق بالبدن
ومقتضى الحواس ولكن لا يزال البدن يحاذيها
ويشغلها ويمنعها من الاتصال فاذا انحط عنها
شغل البدن بالموت ارتفع الحجاب وزال المانع ودام
الاتصال لان النفس باقية والعقل الفعال باق ابدا
والفيض من جهته مبذول فانه لذاته والنفس مستعدة
للقبول بجوهرها اذا لم يكن مانع وقد زال المانع فدام الوصال
والمعارف التي هي مقتضى القوة العقلية خاصيتها هي
المعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله وكيفية صدور الوجود
منه الى غير ذلك من المعارف واذا زال شغل النفس
بالبدن وعوارضه دام اتصاله وكمل حاله والتذ
بذلك لذة لا يدركها الوصف ولا يبلغ كنهها وهذه
اللذة العقلية للنفس كملت في هذا العالم الثاني

ان كانت النفس منزهة عن الرذايل ولكن منفكة عن العلوم
فتكون مصروفة الهمة الى التخيلات فلا يبعد ان تتخيل
الصورة الملذة كما في النوم فتمثل لها في اليقظة ما وصف
في جنة من المحسوسات ويكون بعض الاجرام السماوية
موضوعة لتخيلها اذ بان انه لا يمكن التخيل الا بجسم لحياة
عبارة عن حالة يعرف بها الموجود نفسه فالنفس تعلم
نفسها وتواليها الذي هو العقل يعلم نفسه والسموات تعلم
انفسها اذ هي حية مدبرة عالمة على ما تقدم برهانه وقد
اخبر الله سبحانه في غير ما آية عن نطقها وكلامها وخطابها
فليس في الآخرة موات بل كل ما فيها حي لا يفنى ولا يبيد
لما كان الحيوان الذي في عالم الكون والفساد بصدد
التغير والزوال كانت الحياة حقيقة لما يدوم حاله ويومن
زواله ولهذا قال عز وجل لو كانوا يعلمون اي حيوانية
الدار الآخرة لانها تدرك بالعقل واما
قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فروي عن

علي رضي الله عنه انه قال هي بهرام وهو المريخ وعطارد
وزحل والمشتري والزهرة وانما قيل لها خنس لانها تخنس
في مجراها اي ترجع من خنست عن الرجل اي تاخرت والكنس
معناه السائرة في مغيبها وعلة رجوع هذه الخمسة ان لها
افلاكا صغارا تسير فيها وتقطعها فاذا كانت طالعة فيها
كانت مستقيمة السير واذا كانت منحدرة كانت راجعة
من المشرق الى المغرب وبرهان ذلك في المجسطي واما
قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم فقال قتادة بمساقطها
وقال مجاهد بمطالعها ومساقطها فان قيل فاين مساقط
النجوم فالجواب انه قد برهنا على ان السماكرية
والارض كذلك فغروبها عن قوم هو طلوعها على اخرين
واما قوله عز وجل فيما قص علينا من خبر ابرهيم عليه السلم
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم ففيه اثبات
تاثير هذه الاجرام التي في عالم الكون والفساد ومما
يدل على ذلك دلالة قاطعة ان التمس بانتقالها في

البروج يحصل اختلاف الازمان من ربيع وقيظ وخريف
وشتاء وكذلك يكون نضج الفواكه وغير ذلك
فان قيل فان النظر منهم قد يخطي فالجواب
انه ربما يخطئ بجميع الاسباب وان احاط فلا نضمن لان الارضيه
يفوت علمها فان قيل ما وجه الحكمة في منع الشرع من
هذا العلم جملة وحتم البتة فالجواب انها مسترقة
مغيبة في نهاية الحس وغاية الخفاء فلو سمعت العامة
من علمائها ملتها وحملة دينها ان لها تاثيرا لوقعت عندها
وعدتها الهة وايضا فان القدر نافذ لا محيد لاحد عنه
فصار تعلم ذلك فضلة وصرف العمر لغير ذلك
مما يفيد السعادة الدايمة اولى واجدر لذلك في كل عصر
واوان يسير فان قيل هل في الشرع اشارة الى تاثيرها
فالجواب ان الشريعة قد نبات ان الملايكة
موكلة بالارزاق والاجال ومراعاة اعمال بني ادم
وهم نوعان عقول الافلاك المفارقة ونفوسها المنطبعة

فيها وقد جاء ذلك في الكتاب العزيز ان الرزق في السماء
وقد يكون في الشرع عز القول بتاثيرها تنبيها للنفوس
ان المدبر الاول غير جسم ولا قوة حاصلة في جسم ولما
كانت انفس السموات تعلم الاوايل بما في اوايل وهيه احرارها
الى الثواني علمت الثواني ضرورة في عالمها بجزيات فتعلم
ما فوقها بعلم كلي وتعلم احرارها بعلم جزي كالمباشرة او المشاهدة
للحواس فلاجرم انها تعلم ما يكون وكذلك يعلم كثير منها
الوجه الذي هو اصلح والذي هو اصوب واقرب من الخير
المطلق من الامرين الممكنين والتصورات التي للعلل المفارقة
مبادي لوجود الصور الارضية اذا كانت ممكنة ولم يكن
هناك اسباب سماوية تكون اقوى من تلك التصورات
مما هو اقدم واذا كان الامر كذلك وجب ان يحصل
الامر الممكن موجودا لا عن سبب ارضي ولا عن سبب
طبيعي في السماء بل عن تاثير بوجه الاهي لان الجرم السماوي
اذا عقل الاوايل عقل ذلك الامر الممكن واذا عقل

هذه
قد
للفلك

ذلك عقل ما هو الأولى بان يكون واذا عقل ذلك كان
اذ كان لا مانع فيه الا عدم علة طبيعية او ارضية او وجود
علة طبيعية او ارضية اما عدم العلة الطبيعية الارضية
مثلا ان يكون ذلك الشيء هو ان يوجد حار فلا تكون
قوة مسخنة طبيعية ارضية فتلك السخونة تحدث للتصور
السماوي بوجه كونا حرفيا كما انه يحدث في ابدان الناس
اشياء من تصورات الناس برهان ذلك العاين وما يحدث
نفسه في غيره واما مثال الثاني فان يكون ليس المانع عدم
سبب التسخين فقط بل وجود الحر فالتصور السماوي
للحر في وجود ضد ما يوجب البرد في ذلك ايضا يفسد
البرد في ذلك ايضا كما يفسد تصور الغضب السبب
البرد فينا فيكون اصناف هذا القسم احالات امور طبيعية
او الهامات تتصل بالمستدعي او بغيره او اختلاط من
ذلك تبدي واحدا منها او جملة مجتمعة الى الغاية ونسبة
التصريح الى استدعاء هذه القوة نسبة التفكر الى استدعاء

البيان

البيان وكل يفيض من فوق السموات اعني المفارقات
الروحانية والاول الحق فعلم ذلك على الوجه الذي يليق
به ومن عنده ينبغي كون ما يكون ولكن بالتوسط وعلى
ذلك علة سبب هذه الامور ما ينتفع بالدعوات
والقرابين وخصوصا في امر الاستسقاء وفي امور اخر

فصل

الامام اعلى الله في عليين درجة
باضاح الحق في امر النبوة هل هي واجبة في هذا
العالم ام جايزة فان المتكلمين قد اختلفوا في ذلك
ولم يات فريق منهم بما ينتفع به دون تحقيق فاجاب
من المعلوم ان الانسان يفارق سايرا لحيوانات بانه لا
يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصا يتولى تدبير امره من
غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته وانه لا بد ان
يكون الانسان مكملا به وبنظيره فيكون هذا مثلا
ينقل لذاك وذاك يخزن لهذا وهذا يخيط لاخر به والاخر
يتخذ الابرة له حتى اذا اجتمعوا كان امرهم مهيا ولهذا تعلم

اطوارا ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
لبعض سخريا كما قال تعالى ويتم الكل ما سبق له من قسمه
ربه ومن رحمته وهذا اضطروا الى عقد المدن والاجتماعات
لمن كان منهم غير محتاط في عقد مدينته على شرايط المدينة
فقد وقع منه ومن شركائه الاقتصار على اجتماع فقط
فانه يحمل على حسن بعيد الشبه من الناس عادم
لهما لانهم ومع ذلك فلا بد لامثاله من اجتماع ومن
تشبه بالمدنيين فاذا كان هذا ظاهرا فلا بد في
وجود الانسان وبقايه من مشاركة ولا تتم المشاركة
الا بمعاملة كما لا بد من ذلك في سائر الاسباب
التي تكون ثم ولا بد في المعاملة من سنة وعدل
ولا بد للسنة والعدل من سان ومعدل ولا بد ان
يكون هذا انسانا والى هذا المعنى وقعت الاشارة
في القرآن العزيز في قوله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا يجوز

ان يترك الناس وارآءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل
واحد منهم ما له عدلا وما له عليه ظلما فاحتاج الى هذا
الانسان في ان سعى نوع الناس ويتحصل وجوده اشد
من الحاجة الى ابنات الشعر على الاجفان وعلى الحاجبين
وتقعير الانف والاحمص من القدمين واشياء اخر من المنافع
التي لا ضرورة اليها في البقاء بل اكثرها لها النفع فيه
ووجود الانسان الصالح لان يسن ويعدل ممكن
فلا يجوز ان تكون العناية الاولى تقتضي تلك المنافع
ولا تقتضي هذه التي هي اشهى ولا ان يكون المبدأ
الاول والملايكة بعد تعلم ذلك ولا تعلم الضروري
حصوله لتمهيد نظام الخير ثم لا يوجد بل كيف يجوز
ان لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبتنى على وجوده
فواجب اذا ان يوجد بني وواجب ان يكون انسانا
وواجب ان يكون له خصوصية ليست لسليم الناس
حتى يستشعر الناس فيه امرا ليس هو لهم فيتميز به هم

فتكون له المعجزات التي تقدم ذكرها في الجواب عن قوله
تعالى الله الذي خلق سبع سموات فهذا الانسان
اذا وجد يجب ان يسن للناس سننا باذن الله ووحيه
وانزاله الروح القدس عليه ويكون الاصل الاول فيما
يسنه تعريفه اياهم ان لهم صانعا واحدا قادرا وانه عالم
بالسر والعلانية وان من حقه ان يطاع امره فانه يجب
ان يكون الامر لمن له الخلق وانه قد اعد لمن اطاعه المعاد
المسعد ولمن عصاه المعاد المشقي حتى يتلقى الجمهور
منه المنزل على لسانه عن الله والملائكة بالسمع والطاعة
ولا ينبغي له ان يشغلهم بشيء من معرفة الله فوق معرفتهم
انه واحد حي لا شبيه له فاما ان يحدوا لهم ان يكلفهم
ان يعتقدوا بوجوده وهو غير مشار اليه في مكان ولا
منقسم بالقول ولا خارج العالم ولا داخله ولا شيئا
من هذا الجنس فقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما
بين ايديهم الذين والعالم فيما لا مخلص عنه الا لمن

كان

كان الموفق الذي يشذ وجوده ويندر كونه فانهم
لا يمكنهم ان يتصوروا هذه الاحوال وانما يمكن الملك
ان يتصور هذا التوحيد والتنزيه فلا يلبثوا ان
يكذبوا بمثل هذا الوجود وينصرفوا الى المباحث
والمقايسات ويقعوا في المنازعات التي تصدهم عن
اعمالهم المهمة وربما اوقعهم في ارآء مختلفة لصلاح
المرتبة منافية لواجب الحق وكثرت فيهم الشكوك
والشبه وصعب الامر على اللسان في ضبطهم فما كان
يتيسر له في الحكمة الالاهية ولا اللسان يصلح له ان
يظهر ان عنده حقيقة يكتمها العامة بل لا يجب ان
يرخص في تعرض شيء من ذلك بل يجب ان يعرفهم جلالة
الله وعظمته بامور واشكاله من الاشياء التي هي
عندهم جليلة عظيمة ويلقي اليهم مع هذا القدر انه
لا نظير له ولا شريك ولا شبيه وكذلك يجب ان
يعتقد عندهم امر المعاد على وجه تتصور كيفيته

رشدن اليه نفوسهم ويقرب للسعادة والشقاوة امثالا
مما يفهمونه ويتصورونه واما الحق في ذلك فلا يلوح
لهم منه الا امر مجمل وهو ان ذلك شيء لا عين رأته ولا
اذن سمعته وان هناك من الملك ما هو ملك عظيم ومن الالم
ما هو عذاب مقيم واعلم ان الله تعالى يعلم ان وجه الخير
في هذا ان يؤخذ معلوم الله على وجهه على ما هو
علمه ولا باس ان يشتمل خطابه على رؤس اشارات
تستدعي المستعدين والجملة للنظر الى البحث الحكمي
فقد تبين ان وجود الشيء واجب في الحكمة الالهية لما
مر ادعته الاشعرية انه جائز ولما ادعته المعتزلة انه
واجب على الله وبالله شاهد وعليه في كل الاحوال يعتمد

وسئل رضي الله عنه عن قول الله عز وجل
يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وقد جاء في
الاثر الصحيح ان ذلك طلوع الشمس من مغربها

وعلى ما ذكر في التفسير في قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات طباقا فان الادلة العقلية تقتضي ان امرها على وتيرة
واحدة **فاجاب رضي الله عنه** هذا كلام
محمول على الاستعارة والتشبيه ولما كان ابن آدم مخلوقا
من امرين نفس بسيطة شريفة الجنس ولا تدخل تحت
كون ومكان من عالم الامر والحدوث قريب الى الافهام
ما هيتها فشبهها من الاجسام باشدها اضاءة واكثرها
اشراقا وانارة وجعل الشيء الشريف ان يقرب من الافهام
ويشبه باشرف ما يكون اذا الاستعارة تعليق العبارة
على غير ما وضعت له في اصل اللغة على طريق المثل للابانة
فشبه العقول التي لا تحس بالمري المشرق لان
الصفو فيه نقل كما ان البدن اقل شرفا من النفس لانه مركب
الشهوات التي يقرب بها الادمي من البهايم ويبعد بها عن
افق الملائكة المقربين ولما كانت النفس ما دام الانسان
حيا نظرها نازلة الى بدنها ونازلة الى الافق الاعلى فاذا ترك

الموت وانقطعت العلاقة بين النفس وجسدها زالت
بالجملة عن الحس وتدبيره فطلعت شمس نفسه عن مغرب
جسمه فلا يتهيأ عمل لتعطل الآلة التي بها يوصل الى السعادة
ولما كانت السعادة وهي للنفس اذ اسعدت بالاستعداد
لقبول فيض العقل الفعال وانست بالاتصال به على
الدوام لتقطعت حاجاتها عن النظر الى البدن ومقتضى
الحواس ولكن لا يزال البدن يجاذبها ويشغلها ويمنعها
من حمام الاتصال فاذا انخلعت عنها شغل البدن بالموت
ارتفع الحجاب وزال المانع ودام الاتصال لان النفس
باقية والعقل الفعال باق ابدا والفيض من جهته مبذول
فانه لذاته والنفس مستعدة للقبول بجوهرها اذ لم يكن
مانع ولما كانت الشقاوة ان يكون محجوبا عن هذه السعادة
التي هي مقتضى طبعها فاذا حيل بينها وبين ما تشتهيه فقد
شقيت وانما تصير محجوبة بان تتبع الشهوات وتقصر
الهم على مقتضى الطبع البدني حتى تحدث فيها هيئات انقيادية

تزوع

تزوعها الى مقتضى طبعه وتصم هذا العالم الفاني الخسيس
مرتسخ بالعادة تلك الهيئة فيها وتتأكد شوقها اليها
وتفوت بالموت آلة الدرك ويبقى الانسان متشوقا الى
ما اعتادت نفسه منازعا وهو الالم العظيم الذي لا حد له
وذلك يمنع من الوصال والاتصال بالعقل الفعال
لان النفس متى انست في عالم الكون والفساد ولا
منطبعة في البدن كما تقدم ذكره في تفسير قوله تعالى
الله الذي خلق سبع سموات الآية لكن اشتغالها بعوارض
البدن وشهواته وتزوعها اليه وعشقها الطبيعي فيه
يحول بينها وبين مقتضى طبعها من المعارف ولكن لا
تحس في هذا العالم بالم لان النفس شغلها به كالمشغول
بالقتال والخوف فانه قد لا يشعر بالالم فاذا مات ارتفع
الشاغل وبقي الشوق وفاتت الآلة وصار الشوق
صارفا للهمة الى ما فاته ومانعا له من الاتصال
بمقتضى طبعه وهو البلاء العظيم المخلد وهذه النفس

ناقصة بفقد العلم ملطخة باتباع الشهوة فلا تشفع بعد
الموت بإيمان ولا يمكنها ان تنزع عما يوبقها ولا ان تستعمل
ما ينجيها فكانت العبارة عن هذه الحال بطلوع شمس
النفس من مغرب البدن بالغة في الاستعارة ومشيرة الى
الحقيقة بأحسن اشارة **فان قيل** فما معنى قول
النبي عليه السلام في صحيح الاخبار التي لا مطعن في رواتها
انه يشفع للمؤمنين في امته **فالجواب** ان الشفاعة
دعاء الى الله تعالى غير انه دعا لغير الداعي به فاصله من
الشفع وهو الانضمام للشيء بغير واسطة ودلك انه
عمل لغيرك اضيف الى عملك فتشفع لك عملك به فهو دعا
شفع به عمل المدعو له فقد قال عليه السلام لكل نبي دعوة
دعا بها وانى اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
والاختلاف وقوع الشفاعة من جهة اختلاف مقام
المشفوع لهم في اعمالهم فهذا يعلم ان الاثار التي جاءت
فيها متعاضدة غير متدافعة ففي بعضها ان رجلا يخرج
من النار

من النار بالشفاعة وآخر يخرج من دخولها بالشفاعة وآخر
يشفع له فلا يشفع الشافع حتى يؤخذ منه الحق اما من
يشفع له فلا يشفع فيه لحديث صلى الله عليه وسلم المشهود
بوثابر جال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب
اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول
فسحقا سحقا وبيانه في كتاب الله تعالى قوله وانذر
عشيرتك الاقربين لما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اغني عنكم
من الله شيئا وقال صلى الله عليه وسلم لمستنقذ رجالا
ومستنقذ مني آخرون واما الخروج بالشفاعة من
النار فقوله عليه السلم فيما اخبر به عن الله تعالى اخرجوا من النار
كل من كان في قلبه حبة من ايمان وحديث تاكلهم الا موضع
السجود وتاخذهم النار بقدر اعمالهم فمنهم الى ركبتيه
ومنهم الى حقويه وحديث ابرهيم الخليل عليه السلم
وعلى نبينا السلام حين يقول عرف مني حرفت مني ه ه

وأما الذين يشفع لهم قبل الدخول فالحديث الذي جاء عن أنس
رفعه قال يصف أهل النار فيغلون فيهم الرجل من أهل
الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان اما تذكر رجلا سقاك
شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول فلان لأنت هو
فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم يا
فلان لرجل من أهل الجنة اما تذكر رجلا وهب لك
وضوأ يوم كذا فيقول نعم قال ويشفع له فيشفع فيه
وفي زبور داود عليه السلام اني ادعو عبادي الزاهدين
فاقول لهم عبادي اني لم ازوعنكم الدنيا لهوانكم علي
ولكن اردت ان تستوفوا نصيبكم موفورا فتحملون الصوف
فمن احببتموه في الدنيا اوقضى لكم حاجة او رد عنكم غيبة
او اطعمكم لقمة ابتغاء وجهي وطلب مرضاتي فخذوا بيده
فادخلوه الجنة فوجه اعتبار هذه الطبقات ان يعتبر
رجلا بلغ وزن ذنوبه ان يعذب في النار شهرا واخر
بلغ وزن ذنوبه ان يعذب في النار يوما فلما اعطي هذا

حظه من الشفاعة نجح حظه بما وجب عليه من قصاص
ذنوبه وكان وقفا لوقف فخرجه الشفاعة من النار فهذا
يجعله الله تعالى لمن يأذن له فيها قبل ان يلج النار
والآخر لا ينفي حظه من الشفاعة بقصاص ذنوبه فاذا
بقي من قصاصه مقدار ما خرج الشفاعة اذن فيه
فاخرج ولو شفع له شافع من قبل وبما يبين من السنة
ان الشفاعة تقع للناس بقدر اعمالهم حديث الشفاعة
المشهور حين يقول صلى الله عليه وسلم عز ربه تعالى
اخرجوا من النار من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من
ايمان ثم خردله ثم ذره فبين الحديث في الصفة ان الارجح
ايمانا اسرع خروجا وان الشفاعة تجب لهم بوزن
ايمانهم الموجود في قلوبهم فوقع حظهم من الشفاعة
تبعا لايمانهم سواء عدلا ثم انتهى نظر الملائكة الى
مثقال الذرة فيدركون من اثر الايمان في القلوب
بحواسهم ما دق عن الذرة وثبت في علم الله تعالى

المحيط ما هو ادق من وزن الذرة فلم يترك عباده اعمالهم
مادق من وزن الذرة وقبله منهم واوجب فوزهم وقيل
هذا من بيان الآثار فيه حديث ابي ذر اذ سأله
الشفاعة فقال اعني على نفسك بكثرة السجود فامره
حين سأله ان يحول حظه منها ان يستكثر من افضل
الاعمال التي هي وسيلة اليها فتبين ان شفاعة المشفع
له بمقدار عمله صلى الله عليه وسلم **تفصل**
الامام رضي الله عنه بالجواب عما جاء في القرآن
وصحيح الآثار من ان الملائكة تكتب اعمال بني آدم
في الصحف وان الجزاء يقع على الاعمال السالفة
المقيدة في صحف الملائكة مع ان الملائكة عقول
مجردة عن المادة ليست باجسام ولا منطبعة فيها فما
المراد بذلك اشرحه لنا منعما مطولا **فاجاب**
لما كان الآدمي مركبا من نفس وجسم وكان جسمه
بعيد الشبه من الملائكة التي هي عقول مجردة

برية عن المادة وعلائقها وكانت نفسه لبسيطة بشرية
عن الزمان والمكان وكانت مناسبة لها وشبيهة
بها الا ان نسبتها نسبة سراج الى شمس وذلك لا يمنع
المشابهة ولها وجهان اضافيان وجه الى الجنبة العليا
وهي الملأ الاعلى اذ منها تستفيد العلوم وانما القوة
النظرية لها باعتبار هذه الجهة وحقها ان تكون دائمة
القبول ووجه الى الجنبة السافلة وهو تدبير البدن
وانما لها القوة العملية لاجله فاذا اتبع الشهوات
وقصرها على مقتضى الطبع البدني وجدت في النفس هيأت
انقيادية نزوعية الى مقتضى الطبع ونعيم العالم
الحسيس الفاني بعد عن افق الملائكة وان كان
اصل وجودها من تلك الجهة الشريفة لكنه باتباع
الشهوات للحق بافق البهائم ويهوي الى اسفل
سافلين وان كان اصل الوجود في عليين ومع
الملائكة المقربين واذا احترم الآدمي في الدنيا

ذنبا استحق العقاب فشهد العدول عندوله
الامور انفذوا عليه ما اوجبته الشريعة من عقوبة
كذلك الملايكة عالمة بما تقضي عليه النفس همها
وذلك العلم يتبع مقتضى فعلها وميلها الى جانب
الرذايل وضد الفضايل وبذلك استحق العقوبة
والبعد عن عالمها الرفيع العالي فعبر عن عالمها
بمقتضى فعلها بالكتب على طريق الاستعارة وتقريب
العبارة اذ مع ذلك العقاب واذ حصل بينهما مع
اثر البعد كما تحصل في الصحيفة اثر الرسم
فكانت هذه العبارة الشرعية مطابقة لما تشهد به
العقل من ذلك مطابقة حسنة بالغة فقال
تعالى ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون وروى عن كعب انه قال ما من
آدمي الا وله مثال في السماء فاذا عصا مثاله في
الارض عصا مثاله في السماء فاخبر ان له وجودين

ارضيا وسماويا اي عاليا شريفا والا فالنفس لا مادة
لها بخلاف جرم السماء **وسئل** عما تواتر
من الاخبار عن الحوض وان امة محمد صلى الله عليه وسلم
ترده ومن يشرب منه لا يظمأ وان عدد آنيته
عدد نجوم السماء **فاجاب** بان قال
نعيم الجنة على ضربين فمنه عقلي على ما تقدم شرحنا
له ومنه متخيل فيتمثل لمن حصل منها ما وصف من
المحسوسات المملذة ويكون بعض الاجرام السماوية
موضوعة لتخيله اذ قام البرهان انه لا يمكن التخيل
الا بجسم وكذلك ما وصف من العقاب الجسماني
هو على هذا والحوض والقصور والحور وكل ممثل
بشيء مخصوص من هذا القبيل وقد ذكرنا فيما تقدم
المخصوصين بهذا القسم **وسئل** عن الدجال
وما تواتر فيه من الاخبار وهو انه قال عليه السلام
انه اعور وان ربكم ليس باعور وان عيسى على نبينا

وعليه السلم يسئله عن اى شئ هو عبارة واى اى
المعانى وقعت هذه الاستارة وقد روى من طريق ابى
بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال
من خراسان فاجاب بان قال
انما سمى دجالا لانه يغطى الحق سوره وكذبه كما يغطى
الرجل جرب ابله بالدجالة قال الاصمعى هو القطران وغيره
يضنابه البعير واسمه اذا فعل ذلك الدجل والشده

راعت الدرام الاولى والبعض مثل الاجرب الدجل
ولما كان طريق الحق واحدا وهو ما قام عليه البرهان
القاطع وكان ما عداه لا يفضى الى مطلوب حقيقى
وذلك ان مادة القياس هى المقدمات فان كانت
صادقة يقينية كانت النتائج كذلك وان كانت كاذبة
لم تنتج الصادقة وان كانت ظنية لم تنتج اليقينية والمقدمة
خمسة احوال احدها ان تكون صادقة بلا شك ولا
شبهة فالقياس الذى ينتظم منها يسمى برهانيا والثانى

ان يكون مقاربة لليقين على وجه يعسر الشعور بامكان
الخطاء فيه ولكن يتطرق اليه امكان اذا تانق الناظر
فيه والقياس المركب منه يسمى جدليا والثالث
ان تكون المقدمات ظنية ظنا غالبا ولكن يشعر الانسان
بنقيضه ويتسع لمقدر الخطاء فيه والقياس المركب
منه يسمى خطابيا والرابع ما صور بصورة اليقينيات
بالتلبيس وليس ظنيا ولا يقينيا والحاصل منه يسمى
مغالطيا وسوفسطائيا والخامس هو الذى يعلم انه كاذب
ولكنه يمثل النفس بنوع تخيل والقياس الحاصل
منه يسمى شعريا وكل مقدمه سلم منها قياس ولم
تثبت تلك المقدمة بحجة لكن اخذت على انها مقبوله
مسلمة فانها لا تعدو ثلثة عشر قسما الاوليات والمحسوسات
والتجربيات والمتواترات والقضايا التى لا يخلو الذهن عن
حدودها الوسطى وقياساتها والوهميات والمشهورات
والمقبولات والمسلمات والمشبهات والمشهورات فى الظاهر

والمظنونات والتخيلات اما الخمسة الأول فتصلح
للأقيسة البرهانية واما المشهورات والمسلمات فهي
مقدمات القياس الجدلي واما الأوليات ومامعها
فلو وقعت في الجدل كان اقوى ولكن انما تستعمل في
الجدل من حيث هي مسلمة بالشهرة واما الوهميات
والمشبهات فانها مقدمات الاقيسة المغالطية
ولا فايدة لها اصلا الا أن تعرف ليحذر وتتوقى واما
المشهورات في الظاهر والمقبولات والمظنونات
فتصلح لأن تكون مقدمات القياس الخطابي والفقهي
وكل ما لا يطلب به اليقين واما المتخيلات فهي
مقدمات الأقيسة الشعرية وما جاول المتكلمون
وأهل المجاهدة العلم بالباري تعالى فان طريق المتكلمين
بمجاولة ذلك التمثيل والاستقراء الذي لا حصر فيه التقي
والإثبات فوصل المتكلمون بفساد النظر الى نظير وتشبيه
وذات واحدة وصفات كثيرة بحملها الذات زايدة عليها

والمقبولات

وبعضهم نفي الصفات وشبه في الافعال والباري
جل جلاله منزه عن ذلك كله متقدس عنه واما
اهل المجاهدة فان كانوا قد وصلوا الى قوة في النفس
والتخيل فنالهم قوة العقل بقلة الممارسة للعلوم
البرهانية وغلبت عليهم قوة الخيال فعبروا عن المفارقات
بعبارة الجسمانيات وبعضهم لاح له شرف النفس
بريها عن علايق المادة وتدبيرها اجسامهم واعتقدوا
الربوبية بانفسهم فبعضهم قال انا الحق انا الحق
وبعضهم قال سبحاني سبحاني ما اعظم شاني
وبعض قال حلمه الحر ليقع الفرق والباري تعالى
ليس بمحدث كالنفس ولا جسم كما يقع في الخيال
وذلك غور ناقص التصرف للكرة المغترين بالجدل وما
أعطى قوم من قوة الخيال والنفس واحسارهم انهم وصلوا
وعلموا وخاطبوا وحوطبوا وكل ذلك لا يخلو من
نقص اخبر عليه السلم ان الباري لا يليق به نقصان ولا

عَقْلٌ وَانَّهُ لَا يُدْرَكُ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْأَبَاطِيلِ بَلْ اَخْبَرَ بِهِ
الصَّادِقُ اَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَانَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
اَحَدٌ وَنَحْنُ نَحْكُمُ عَلٰى مَنْ وَصَلَ اِلَيْهِ كَلَامُنَا هٰذَا اَنْ لَا
يَغُشَّهُ اِلَّا مَنْ يَنْصَفُ وَيَفْهَمُهُ وَيَكُونُ بِهِ ظَنِينًا فَقَدْ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ اَتُحِبُّونَ اَنْ
يُكَذَّبَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اِنَّ لِلّٰهِ عِلْمًا
لَهِيَّةَ الْمَكْنُونِ اِذَا ذَلَّتْهُ الْعَارِفُونَ بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ اِلَّا اَهْلُ
الْغِرَّةِ بِاللّٰهِ وَاللّٰهُ اَسْئَلُهُ اَنْ يُلَقِّنَنَا اَكْمَلَ السَّعَادَةِ وَاَوْفَاهَا
وَاَسْبَغَهَا لِبَاسًا وَاَعْفَاهَا عَنَّا وَكَرَمِهِ وَلُطْفِهِ وَصُنْعِهِ اِنَّهُ
جَوَادٌ كَرِيمٌ مُنْعِمٌ لَا رَبَّ غَيْرُهُ نَجَزَ بِحَمْدِ اللّٰهِ وَعَوْنِهِ

فِي يَوْمِ السَّبْتِ سَابِعِ جُمَادَى الْاُولٰى

مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَسَلَّمَ

تَمَّ

دیکران

جدیا جواد بجودک المقتنسس

كتاب المعارف

العقلية والحكم الالهية تصنيف

الامام محمد محمد الغزالي الطوسي

الحمد لله تعالى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مسئلة الله وحرت بدني وبين من احب

لولا شبيبي ما جفا لولا جفا لم اشب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رضي الله عنه ع

الحمد لله الذي عقل العقل بمشيئته عن الإبانة
إلى بداية إبريته وأخرس الحس عن نظمه العبارة
في نهاية هويته حتى صار العقل في أول الابداع
أعجز من الحس في آخر الاختراع ربنا ورب آبائنا
وأمهاتنا السفليات إياه نطلب ونروم وله
نصلي ونصوم وبه نفقد ونقوم وهو الواحد
المبدع الحي القيوم وصلواته على سيد المرسلين
ورحمة رب العالمين المشرف بالنبوة قبل امتزاج
الماء والطين والسلام على أهله الطيبين الطاهرين
أبدا لا بدين أما بعد فإن الله تعالى لما أبدع
العالم الروحاني وخلق العالم الجسماني اختار
الانسان على سائر المخلوقات وجمع فيه لطائف

المصنوعات من المعقولات والمحسوسات ليكون
انموذجا من العالم الكبير ويعبر عنه بالعالم الصغير
ولهذه الكلمة تفصيل يطول شرحه ولا يخفى ببيانه على
المنشرحي القلوب ولا يحل وضعه عند مملوي العيوب
وهذا الانسان انما تميز من بين الخلق واختص ببيان
الخلق بشرف النطق ومن لم يعرف حقيقة النطق فليس له
من الانسانية الا الاسم ولا من الصراط المستقيم إلا
الرسم واكثر الناس تحيروا في حال النطق وكيفيته بحيث
انهم لا يفرقون بين الكلام والنطق والقول
وظنوا ان هذه الكلمات أسام لمعنى واحد ولو كان الامر
كما ظنوه لجاز ان يقال للباري تعالى ناطق وللحرم
القلكي قايل وهذا امر غير مذكور فاردنا ان نبين
حقيقة هذه الاسامي ونفرق بين هذه المعاني فيكون
معتصما للذوي الالباب وعولت فيه على تاييد مسبب
الاسباب فانه الجواد الوهاب وترتيب الكتاب خمسة

ابواب ليكون اسهل على من سلك هذا الطريق واستغنت
بالله فانه ولي التوفيق ﴿ الباب الاول
الباب الثاني ﴿ الباب الثالث
في الكلام ﴿ في القول ﴿
الباب الرابع الباب الخامس
في الكتابة ﴿ في الغرض المطلوب
الباب الاول في النطق وما
يتعلق به وهو خمسة فصول ﴿ الفصل الاول
اعلم اسعدك الله ان المطالب الاصلية اربعة
الاول مطلب هل وهو السؤال عن وجود
الشيء والثاني مطلب ما وهو السؤال عن
ماهية الشيء والثالث مطلب لم وهو مطلب
العلة والرابع مطلب اي وهو السؤال عن فصل
الشيء الذي يفصله عن المشاركة له في الجنس واما

مطلب هل فعلى وجهين احدهما عن اصل الوجود كقولك
هل الله موجود واما مطلب ما ايضا على وجهين
احدهما سؤال المتكلم عن تفسير لفظة كما يقال ما العقار
فيقال الخمر والثاني مطلب حقيقة الشيء في نفسه
كما يقال ما العقار فيقال هو الشراب المسكر المعتصر
من العنب ومطلب ما بالمعنى الاول متقدم على مطلب
هل فان من لا يفهم الشيء لا يسئل عن وجوده والمعنى
الثاني متأخر عن مطلب هل لان ما لا يعلم وجوده لا
تطلب ماهيته فبعض الاشياء يستدعي اولا اثبات
الهلية ثم الماهية ثم اللمية وعرضنا خارج عن مطلب
الهلية فانه لا يقال في النطق هل هو لان اثبات طاهر من
وانواعه ظاهرة ودلايله باهرة فانه لا يحتاج الى مقوم
من خارج لانه يقوم الانسانية فان الانسان اذا
حد يقال حي ناطق مائت فالمعنى الذي به المقوم
للانسانية هو النطق فبهذا السبب استغنى عن مطلب

هل هو الفصل الثاني امّا ماهيّة النطق
فمحتاج الى ادنى شرح وشرحه يستدعي ادنى
تامل لاشتباهه بالكلام والقول وقد عرفنا بان النطق
معنى زايد على معنى الكلام والقول وذلك انّ الحسن يوصف
بالنطق لانه ناطق بالقوة ولو لم يكن ناطقا لم يعد من الناس
ولا يقال له قايل لان قوله بالفعل فلهذه الضرورة احتجنا
ان نذكر طرفا من ماهيّة النطق فنقول انّ الله سبحانه
لما اراد اظهار جوهرته بالارادة اللايقة به ابدع جوهرا
روحانيا بسيطا مدركا كاملا وصفاه وجلاه كالمرآة
ثم قابله بنور جلاله وجماله فتصوّرت الالهيّة الباري
جل شانه في ذات جوهريته وعقل ربوبيّة مبدعه
وعرف عبوديّة ذاته فصار ذلك الجوهر المبدع
عقلا بصفاء ذاته عاقلا بادراكه ربوبيّة باريه
معقولا باحاطة العبوديّة جوله فعرف ربّه واطاع
امره واستولى على مضمونات القدر ومخفيات القضاء

بكلمة الباري فاقبل عليه بالاستفادة وادبر عنه بالافادة
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال
له ادبر فادبر فاقبل على الكلمة بالاستفادة فتوحد
ثم ادبر فاظهر النفس بالافادة فتزوج فاستحت الهيولى
من مباشرة العقل والنفس وتمّت الكثرة بالثلاثة
كما روي ان اقل الجمع ثلثة فالعقل اول المبدعات والنفس
اول المنفعلات والهيولى اول المولدات قال
الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا
العلم قايما بالقسط فالحاسب عاد والعدد شيء زايد واصل
العدد واحد مبني اخصى من الكلمة التي هي الوحدة الى
المرتبة العاشرة وهي الانسانيّة ولم يتمثل العاد من
انشاء عدد آخر فرجع من نهاية العشرة الى بداية
الوحدة فزاد الواحد على العشرة فحصل من المجموع والزيادة
انسان ناطق عالم فالواحد الكلمة والثاني العقل والثالث

النفس والرابع الميولي والخامس الطبيعة والسادس
الجسم والتابع الافلاك والثامن الاركان والتاسع
المولدات والعاشر الانسان مرجع وزاد الواحد
على العشرة فكانت الزيادة بوة ورسالة هي النهاية
عشرة لواحد في البداية والنهاية رجوع الى البداية
فادًا قد تبين بهذه المقدمات ان نهاية العدد عشرة
والعشرة راجعة الى الواحد الاول وهو العقل الكلي
وللعقل الكلي اثر من امر الباري والنطق اثر من
العقل الكلي فادًا النطق ليس هو صوت العبارة ولا
نفس الاشارة ولا مشكل الحروف ولا تقطيع الاصوات
بل النطق هو تمكن النفس الانسانية من العبارة عن
الصورة المجردة المتقررة في عالم المنفردة في عقله
المتزلة عن الاشكال المعراة عن الاجسام والمثال
فيه تصور حقايق الاشياء باعيانها وذواتها المجردة
في مرآة القلب وتقدر النفس على العبارة عنها

اثر

ويتمكن الذهن من التفكر فيها وتحيط العقل بباطنها
وظاهرها فلذلك سميت تلك النفس ناطقة وتقال
لذلك الرجل ناطق ولو لم يتكلم بالبيان ولم يقل باللسان
وحقيقة ذلك شعبة من اسرار القرآن حيث قال
تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وليس الكتاب
الا العبارة ولا عدة الاشارة لكن لما تضمن جميع الاشيا
واحاط على المكنونات واشتمل على لطايف الموجودات
وغايبها كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فبهذا المعنى
سمى الله تعالى كتابه ناطقًا ليعلم العاقل ان الناطق من
الانسان من تكون نفسه مناسبة لكتاب الله تعالى
ومتصوره لمضمونات كلماته ومن لم يوف حقيقة ما قلنا
فهم ابكم وان كان قايلًا ومن لم يدرك فهو اصم وان كان سميعًا
وهو كما قال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون فمن انسلخ
عن جلدة الهوى والطبيعة انسلاخ الحية وتدرع

مدرع السريفه ينشرح قلبه بنور الايمان ويحترق ايمانه
بنار الوحدانيه ويكمل نظره الحسي ويجد نظره العقلي ولا
يخفى عليه شي من اسرار الملكوت وروضة الجبروت
فهو قاعد بشخصه بين ابناء جنسه وقلبه كالطير فهو في
الهواء يصعد الى مرقاة الكرم ويطير في جو الحرم ويغتذي
بلطايف اسرار الحكم كما قال تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه ويسمع قلبه النغمات
الملكيه ويلذ بالترنمات الملكيه ويفهم معاني
اصوات الطير ويطلع على اسرار القرآن والانجيل
والزبور كما قال تعالى اخبارا عن نبيه سليمان عليه السلم
وعلمنا منطق الطير فاذا النطق اشرف الاحوال واجل
الاوصاف وهو اصل الكلام والقول وماهيه صور
المعلومات وقدره النفس على الاسماع لغيرها
بما يلتيح في العقل باي لغة كانت وباي عبارة اتفقت
فاذا قد تبين بما ذكرناه ماهية النطق وشرفه وتبين

ان الناطق من يكون نفسه مثالا لكتاب الله سبحانه وقلبه
نسخة من كلمات جل وعز فيقدر ان يسمع من ربه ويسمع
غيره وهذا هو غاية شرف الانسان وكمال الملايكة
وان الملايكة عليهم السلم موصوفون بالنطق والانسان
اذا نطق ملك بالقوة واذا صارت ذاته نطقا
وفارق علايق الجسم يصير ملكا بالعقل وبادية
خزنة ربه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

الفصل الثالث

اعلم ان من تامل ماهية النطق ويطلع على حقيقته
ويستوفي درجته ودقيقته يستغني عن سؤال
الكمية ويعلم يقينا ان الخير في الوجود والشر في العدم
والانسان بالنطق يتدلي في وجوده من بدايته ويترقى
الى غايته فان بدايته القوة النامية والمصورة التي
هي قوة من قوى النفس النباتية وغايته القوة الملكية
التي هي ملك من جنود روح القدس الذي ذكر الله تعالى

في كتابه فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا
فاذا الانسان لا يبلغ غايته الا بالنطق ولو كان
البلوغ الى اقصى السعادات العلوية بشيء سوى
النطق لكان خطاب الباري وتكليف الشرع واقرار
العبودية وتصديق النبوة واثبات الربوبية متعلقا
بذلك الشيء ومهما توجهت هذه المعاني على النطق
علمنا ان الانسان ما تميز من بين سائر الحيوان الا
بالنطق ولا يتشبه بالملائكة الا بالنطق وهو من اعظم
مواهب الله تعالى على العباد وذلك ان الانسان
بكل قوة من قوى طبعه وبكل صفة من صفات ذاته
يشابه صنفا من اصناف الموجودات فبالنفس النامية
يشارك النبات وبالغضبية يشارك السباع
وبالشهوانية يشارك البهائم والوحوش وهو بالحواس
كالطيور وبالوهم كالجان وبالخيال كالشياطين وانهم
يغوصون في البحار ويطوفون في البراري ومنهم

كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وهو
بعظامه كالمعادن وبشعره كالنبات وبجاريه كالعيون
وبقواه السبع كالافلاك وباثني عشر نصفه كالبروج
وبالعضلات كالدرج وبالمرتين والدم والبلغم كالاركان
الاربعة التي هي الماء والهوا والارض والنار وبالجملة ينا سب
كل جزء من اجزائه جزءا من العالم فما له وشخصه مثال
للعالم السفلي واوصاف روحه وقلبه مثال للعالم
العلوي والنفس الناطقة فيه كالامير يدبر ويسوس
ويرعى ويامر وينهي ويفعل ما يشا وتمحو ويثبت وهي
خليفة الله في ارضه البدن وكلمة الله على العالب
الكشف وحجة الله على العبد الضعيف وصراط الله
الممدود بين البهيمة التي هي الشر المحض وبين الملائكة
التي هي الخير الصرف وهذا الامر لا يعلو لسانه ولا
يعظم قدره الا بمتابعة الشريعة واقامة العبودية
وطاعة النبي والاقرار بالربوبية كما قال تعالى ومن

يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وكرامة الله تعالى
النفس الناطقة بحسب كما قال سبحانه ولقد كرمنا بني
آدم وهذه الكرامة للمؤمن خاصة لان علامة كمال
النطق الايمان ومن لم يبلغ رتبة الايمان لم يخص بشرف
النطق ومن لم يختص بشرف النطق لم ينل كرامة الله تعالى
لانه قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد فانها ايها العبد الضعيف الى
شرف هذا الجوهر اللطيف الذي انزله الله تعالى من
ملكوت سماواته الى هذا العالم الصغير الحقير المظلم
الكدر ليكون سائقا لهذا التراب وعامرا لهذا الخراب
فاعلم ان الله تعالى انما بنا هذا الهيكل لاجل النفس اللطيفة
وبناه المدينة لها حتى حل النطق كالامير في مدينته
الثالث ما لحدم وسط الدماغ سريرا ومن موخره خزانة
وحافظا ومن مقدمه بريدا وموصلا ومن حواسه
جواسيس وطيورا ومن قلبه مسلما ومن يديه جناحا ومن

رجليه قواما وعمادا ومن خطواته وحركاته رحالا
وركبانا فالنفس في البداية مشتاقة الى هذه الالات
ومحبة لهذه الحركات وكارهة لفراقها حتى تنهياها
زاد الآخرة وتوصل الى الغاية فسدل العداوة
بالمحبة والمخالفة بالموافقة والجفا بالوفا والفنا
بالبقا والنفس عند نزاعها عن ارض البدن ان
كانت مطلعة على اسرار النطق طايعة لاوامر الرب
بالتصديق توفاها طيبة فانزلها في فناء عطفه
مطمئنة كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية وقال تعالى الذين تتوفاهم الملايكة
طيبين وان انهمكت في الشهوات وغرقت في بحار
الظلمات واحترقت بنيران الشهوات تخرج من
الدنيا وتقدم على الله بغير حجة وتكون كما اخبر سبحانه
بقوله الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم فالقوا بان

بما ذكرناه ان شرف الانسان بالنطق وقوله وتبليغه ايضا
بالنطق ولي هذه المعاني اشار تعالى بقوله وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وقال وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون
وقال وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة
وهم لا يؤمنون وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين **الفصل الرابع** واذ ذكرنا طرفا من
النطق وماهيته فزيد ان نذكر ايضا بان النطق صفة
المخلوق لا صفة الخالق اعلم ان النطق وان كبر امره
وعظم قدره وارتفع شانه ولاح برهانه فهو صفة
النفس الانسانية وفي جوهرة حية فعالة دراكة علامة
وان هذه الجوهرة في بداية الفطرة واول الاقبال
على الطبيعة جوهرة ساذجة غير منقوشة بل هي قابلة
للصور مستعدة لتحصيل العلوم ما فيها نقش من خير ولا
شر ولا من علم ولا جهل كما قال صلى الله عليه وسلم كل

مولود

مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق
حنفا فاجالهم الشياطين فاذا تعلقت بالبدن نوعا من
التعلق اعني تعلق افعال لا تعلق حلول واتصال فانها
قد بان بالبراهين الواضحة ان النفس غير متمكنة وغير حالة
في البدن بوجه من الوجوه بل هي مقبلة عليه ومدبرة
له وهذه مسئلة مفروغ منها لاحتاج الى بيانها واذا
اقبلت النفس في بداية الفطرة واول الاشياء تكون
غير قابلة للمعاني المعقولات غير قوية على ادراك
المحسوسات ولا فيها رسوم من العلوم الاوليات مثل
التفاوت بين الكليات والجزئيات ومثل ان الاشياء
المساويات لشيء واحد فهي متساويات فان هذه الاشياء
تنالها النفس بادنى فكرة واقل روية فاذا انتقل الجنين
الى الطفولية تقوى بعض الحواس فاذا انتقل ثم قوي
الحواس وتدرك كل حاسة محسوساتها ثم ان النفس تقبل

تعلم المنطقيات فيكون حينئذ عقلا غريزيا ثم بعد
ذلك ينتقل الى الشباب ويحصل للنفس ادراك
بعض المعقولات وتقدر على تعلم المركبات وتعرض
عن اللهو واللعب وتشتغل بتحصيل الصور ونقش
الاشكال بالبنان والبيان بما سبق عليه الكتاب
الاول ويعلمها الله بالعيان وكلامه الالهيه بكتابه البشريه
كما قال تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقال سبحانه خلق الانسان علمه البيان
ففي اول الحال تسمى نفسا ساذجة ثم عقلا غريزيا ثم
عقلا بالقوة والملكة ثم عقلا بالاكتساب ثم عقلا
بالفعل وقوة النفس اذا قبلت صور المعلومات يقال
لها عقل فاذا تمكنت من الاعانة عن معلول لانها تسمى نطقا
والنفس جوهرة والنطق صفة من صفاتها فلاجل هذا
المعنى لا يطلق اسم الناطق على الباري جل وتعالى

لان الناطق هو العاقل ولا يقال للباري عاقل لان
العقل متجوهر والباري تعالى ليس بجوهر فاذا ليس بعقل
والعقل اشرف من النفس والنطق صفة النفس والباري
جل ثناؤه معبود العقل والاله وبارئه وربه ومبدعه
واذا كان مبدع الجوهر وخالقه كيف يوصف باوصاف
الجوهر واذا كان باري العقل فكيف يوصف العقل
فاذا الناس يقال له رب العقل والنفس والنطق
جميعا والعقل اشرف من كلامه والنفس سر من اثره
والنطق صفة شريفة لمخلوقه وهو منزه عن هذه الاوصاف
والصفات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

الفصل الخامس

اعلم ان النفس الكلية اذا اقبلت على الجسم سمي اقبالها
نفسا انسانية وذلك الاقبال لا يكون الا بامر الباري
سبحانه والعقل الاول الكلي اذا افاض على الجسم يقال
لفيضه نطق فاول ما اثرت النفس الكلية اما اثرت في

الجسم المطلق فصار الفلك جسماً حياً ناطقاً فاذا
الفلك حي ناطق ثم بعده الانسان حي ناطق مايت
فالنطق من العقل والحياة الانسية من النفس فان كان
في الحيوان اثنينية ففي الحقيقة وصفة لاتعدد الآثار
فقد بان بما ذكرنا ان الملايكة نطقاً والفلك نطقاً وللانسان
نطقاً وللعقل الكلي نطقاً وللانبياء عليهم السلام نطقاً
وللموت نطقاً فنطق الموت كنطق الافلاك ونطق
العلماء كنطق الملايكة ونطق الانبياء عليهم السلام
كنطق العقل الكلي الذي هو جوهر فرد مطلق عالم
بذات باريه كامل بكلمته متمم ما دونه بفيضه ورحمته
والله تعالى منزه عن العقلية والنطقية والجسمية والجوهرية
وذاته اعلا من ان يقال اعلا واجل من ان يقال اجل
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين ع ع ع

الباب الثاني

في الكلام والمتكلم وفيه فصلان الاول
في ماهية الكلام وحقيقته

اعلم اسعدك الله في الدارين ان الكلام على ضربين احدهما
مطلق في حق الباري سبحانه والثاني في حق الآدمي
اما الكلام الذي ينسب الى الباري سبحانه فهو صفة من
صفات الربوبية ولا مشابهة بين صفات الباري وصفات
الآدميين فان صفات الآدميين زايدة على ذواتهم
لكونها حادثة وتقوم انفسهم بتلك الصفات وتعين
حدودهم ورسومهم بها كما فرق الحكما بينها وبين غيرها
بالذاتي والعرضي واللازم والمفارق وغيرها كالنطق
والضحك فان احدهما يقع في الحد والآخر يقع في الرسم
وصفة الباري جل ثناؤه لا تحد ذاته ولا ترسم وليست
اذا سي زايدة على العلم الذي هو حقيقته هويته تعالى وتقدس
ومن اراد ان يعد صفات الباري تعالى فقد اخطأ لان
العدد لا يدخل في صفة المعدودين ومن ظن ان

صفاته تشابه صفات الآدميين فقد اشرك لأن الخالق
لا يشبه المخلوق فالواجب على العاقل ان يتامل ويعلم ان
صفات الباري سبحانه لا تتعدد ولا ينفصل بعضها من
بعض الا في مراتب العبارات ومدارج الاشارات
كما اذا اضيف علمه الى رؤية صغير الصغير والكبير يقال
بصر واذا قبل منه الرزق يقال رازق واذا افاض من
مكونات علمه على قلب احد من الناس باسرار الاهية ودقايق
جروت ربوبيته يقال متكلم وليس بعضه آلة للسمع وبعضه
آلة للبصر وبعضه آلة للكلام بل كله بكليته ذاته مرب ذاته
بحسب ارادته كما يعلم وهيئا لا يشغله شان عن شان سبحانه
لا اله الا هو الجواد المنان فاذا كلام الله سبحانه ليس
سوى افاضة مكونات علمه على من يريد اكرامه كما قال
تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه شرفه الله تعالى
بعزه وقربه بقدسه واجلسه على بساط انسه وشاهده
باجل صفاته وكلمه بعلم ذاته كما شاء كلم وكما اراد سمع لا يتدرج

كلامه تحت الكيفية ولا يحتاج الى سؤال الهلية ولا يوصف
بالماهية واللمية بل كلامه كعلمه وعلمه كارادته وارادته صفته
وصفته كذاته وذاته اعلا من التنزيه والتكبير وصفاته
اجل من التفصيل والتفسير خالق كل شي وهو على كل شي قدير
فعلمنا قليل وكلامنا صغير لان كلامنا انر نطقنا وعلمنا نتيجة
فكرنا وتعلمنا ولما علم الباري سبحانه فهو موجب العقل
وكلامه موجب النطق فان الباري تعالى لا يعقل
كلامه ثم يعلم ولا ينظر بالفكر ثم يتكلم بل يعلم وعلمه
قاعدة العلوم والافعال ويتكلم وكلامه اساس الاقوال
والاحوال واذا كان الامر بحسب ما بينا فكيف يطلع
على كلماته وكيف تعدد دقايق صفاته وكل علم من علمه عالم
في حسا وكل جزء من كلماته روح في دنيا واذا احاطت
بكل شي علما واحصت كل شي عددا فكيف تفسر كلمة من كلامه
ولو تكلف ذلك الفكر ابدا كما قال تعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي

ولو جئنا بمثله مددا فهذه حقيقة كلام الباري جل ذكره
واما كلام الآدميين فيقال للمعاني المحصلة المنظومة الصادرة
عن الفكر النطقي والحدس العقلي القول عليه
كلام فما دام المعنى مخفيا مستورا في جر الفكر سمي نطقا
فاذا صدر عن الفكر ودنا الى القول سمي كلاما فاذا
النطق يحتاج الى مخرج ومر و لبصير كلاما والكلام يحتاج
الى عبارة ونظم لفظ ليصير قولا والقول يحتاج الى
حركة وقطع صوت ليصير حديثا والحديث يحتاج
الى قلب ذكي وسمع واع وفهم فيرجع اليه كما بدا البصير
سماعا وهذه مراتب اما تنتظم في حق الآدمي لانه
مربوب زماني تظهر اقواله وافعاله بالدفعات في اوقات
الزمان واما كلام الباري فغير هذا فانه عالم
بجميع الاشياء وعلمه لا يتغير ولا يتبدل ولا يحد ولا يبعد
كما قال سبحانه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وكلامه
افاضة علمه بحسب ارادته كما بينا قبل وسائر الموجودات
تتبع

تتبع كلماته وكلماته باقية ببقاء علمه لا مبدل لكلماته ولا مغير
لعلمه ولا مانع لاحكامه كما اخبر سبحانه بقوله وتمت
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واذا كان
علمه هوية ذاته فكما لا تفنى ذاته لا يتفنى علمه وذاته
ليست بفانية وعلمه ليس بفناه فكلامه ليس بمنقطع لان
الكلام باق ببقاء الذات ولا فناء لذاته فكلامه كعلمه
وعلمه كذاته وكل شيء هالك الا وجهه

فصل

اعلم ان المتكلم الحقيقي الذي لا انقطاع لكلامه ولا تبديل
لكلماته هو الله الذي لا اله الا هو لانه لا يتكلم بآلة خارجة
ولا يظهر معنى غامض من علمه بفكر وروية بل ناطق علمه
وظاهر كلامه واحد لانه واحد بذاته وواحد بصفاته
وواحد من جميع جهاته ولو احتاج الى آلة وعدة ومادة ومدة
لزالت الوحدة الحقيقية عن ذاته وصفاته وعرضت الكثرة
المغيرة وقد عرفت احكاما بان الا له هو الواحد الحق المحض الذي
لا كثرة في صفاته ولا تحد ذاته ولا آلة لكلماته واذا كان

المتكلم بالحقيقة هو الباري فاذا سمي سواه متكلما يكون
ذلك على طريق المجاز الا من يتبع كلام الباري سبحانه ويومن
بتفسيره وتاويله ويقوم باوامره تنزيله ويودي حق تنزيله
فحينئذ يكون متكلما وهذا الجد الذي تسميه المعتزلة
واتباعهم كلاما فذلك خرافات الحديث وفضلات المنطق
ورأس البدعة واصل الزندقة ومن اشتغل بذلك الجدل
واغتر بطالعة ذلك الكلام فقد شرع في محدثات الامور
فانها بدعة وكل بدعة ضلالة وقال عليه السلام كل كلام
ليس بذكر الله فهو لغو وكل صمت ليس بفكر فهو غفلة
واذ قد بينا ان المتكلم على الحقيقة هو الباري تعالى
لانه سمى نفسه متكلما فقال وكلم الله موسى تكليما فالكلام
بالحقيقة كتابه المنزل المشرف الذي قال تعالى فيه
انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
لا يمس ظاهره الا المحترسون من منهيات الشريعة ولا يمس
بحقايقه الا المطهرون من ادناس الطبيعة الذين

آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
فاذا كان كلامه صفة ذاته ولطفه علمه فما افاض
من كلامه علينا يكون عندنا وحسب حدوثا
من قديم برهانه وعلما بحوهر الحديث والكلام مسمى على
قدمه منزه عن الحدوث كما قال سبحانه الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها الاية فالحديث الحسن كلام الله
القديم المنزل الثابت المعلوم في صدور الراسخين المعلوم
في قلوب المومنين الذي لا ريب فيه هدى للمتقين
الذين يومنون بالغيب وهذه الكلمات النورية المستخرجة
من الاسرار الالهية الذي نطق بها عليه السلم وصدقه
الله تعالى في جميع نطقه فقال وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى فقد بان مما ذكرناه ان المتكلم الحقيقي
هو الله تعالى وان الكلام هو القرآن وقال صلى الله عليه
وسلم ان كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق
فهو كافر فاعلم ايها الطالب ان ما سوى الله باطل وما

سوى كلامه هذا بيان وصفات الله من الله واخبار النبي
صلى الله عليه وسلم من اسرار القرآن ومن لم يؤمن بهذا
القرآن فقد استحق الخذلان والحرمان لانه موصوف
بالنفاق والكفر كما قال سبحانه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون

الباب الثالث في القول

وفيه ثلثة فصول

الفصل الاول في شرح القول

اعلم ان قول الانسان لطيف غير ثابت في الهواء ولا
يظهر القول الا بواسطة الصوت والصوت فرع
يحدث عند اصطكاك الاجرام اذا تركبت يكون
كلاما والمعنى النطقي النفساني الروحاني اذا اتصلها
يكون نطقا واذا تلفظت الالسنة به يكون قولا فالقول
هو الكلام التام الظاهر المفيد المنقول الى السماع
للمستمعين بان يحل الهواء ذلك الصوت الحامل لتلك
الكلمات ولو كانت صور الاقاويل باقية في الهواء يجيء
يستفيد الناس لما احتاج الانسان الى الكتابة وتقييد
الاقوال في الصحايف والدفاتر لكن لما كان القول
لطيفا والاصوات منقصة والاقاويل في الهواء غير ثابتة
ولا دايمة احتالت النفوس الانسانية باسباب شتى طلبا
لبقاء المقولات وسيبين هذا في موضعه فاذا القول
هو الكلام التام الجاري على الالسنة ولا يقال للكلام
قول ما لم يظهر بحيث يحيط به اذان المستمعين والقول
المفهوم والمدون في النفس يسمى نطقا والنطق المنطوم
التام بالفعل يسمى كلاما ويصح النطق والكلام بغير واسطة
ومستمع لانهما متعلقان بذات المتكلم لتعلق الصفة
والصورة والقول لا يصح الا مع المستمع المخاطب من
خارج والناطق مع نفسه ناطق وان كان ساكتا
بلسانه والمتكلم بصفته متكلم وان كان فارغا عن
سامه فاما القايل فلا سر معاني سره ولا يعبر عن مفهوماته
عالم الا بعد تغيير مخاطب وتمكن مستمع والله تعالى متكلم

ازلاً وابداً بلا انقطاع ولا استمرار ولا يستمران بالماضي
من الزمان والمستقبل منه لانه متكلم بالصفة غير
ناطق بالقوة فاذا اظهر كلامه على بعض عباده يكون
قابلاً لانسراد الاظهار وسبب الاعمار واذا اعرض عن
المستمعين والمخاطبين اعراض جلال وكمال لا اعراض
ملال وزوال فيكون متكلماً بذاته ازلاً وابداً او لا
واخراً ظاهراً وباطناً واعلم ان قول الانسان لا يقاس
على قول الله تعالى لان قول الله تعالى الطف من ان
يتدرج تحت الصوت او يقبل مدة الزمن وتنبذ الدفعات
بل هو ظاهر بالاحاد لا بالاحاد ومنظور بفنون المبدعات
والصور لا بالاصوات ومخارج الحروف فان الله تعالى
هو فوق الزمان بل هو فوق الدهر الذي هو عنصر الزمان
لا يقبل التغيير بالحدثان والانعلاب بالدوران ولا
يكون قوله كلمة بعد كلمة او عبارة بعد عبارة لان
البعدية والقبلية في زمان من الازمنة وجهات القديم

تعالى بمعزل عن القبلية والبعدية الزمانية والكائنة من قوله
منفية والطاقة الاصلية من قوله كلية ابدية فاما قول
الانسان لطيف بوجه كيف بوجه اما الطاقة فمن قبل
المعاني الروحانية ومن قبل انحنايه في الهواء واندراس
اثاره بعد سكوت القائل وسكونه واما كائنة فمن
قبل اصدافه ومراتبه والاته ومخارجه وعدده فقول
الانسان اذا ظهر على لسانه يكون كيفاً بالاضافة
الى قوله الروحاني قبل بيانه وقول الله تعالى لا يشابه
قولنا باستدعاء آلة واحتياج مدة ولكنه مفيد لذوي
الالات واصحاب الحاجات باقاويله الالهية التي هي
في اصول الكائنات كما قال عز وجل انما قولنا لشيء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون

الفصل الثاني

في عرض القول وحقيقته

اعلم ان جوهر الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة
العاقلة المدركة العالمة فان جميع المعقولات فيها

لا لقوة واذا تعلمت واستفادت ممن هو اكمل واعلم واعقل
ظهرت تلك الصور التي بالقوة فيصير عقلا بالفعل
ويستغني عن مطالعة المحسوسات والتلذذ بلذة الجسمانيات
وهذه النفوس الناطقة كانت صافية لطيفة بسيطة لا
يمنعها شيء من الحجب والموانع لكنها لما اتصلت بهذه
الاشخاص البرانية وتسربلت بسربال الجسدانية
وانحصرت في حيز البشرية واحتجبت في الحواس واستترت
باستار غلاظ كثيفة وامتنعت من افاضة المعاني واسفاضة
مجرد الصفا واللطافة المعراة عن المواد والادوات فانها
كاملة بذاتها وفيها المعاني المعقولة بحيث لا تحتاج الى شيء
من خارج غير ان نفس المستفيد اذا اراد ان يتعلم شيئا من
نفس المفيد وهي في حصار البدن فلا يتمكن من التعلم الا
بعد استماع من خارج فهي السمع للنداء والاستماع لا يكون الا
بعد بيان وعبارة فهي اللسان والخارج للبدن حتى يعبر
العالم المفيد بلسانه عن المعاني المركوزة في نفسه ويبلغها

ببيانه الى المستفيد المستمع بادواته فاحتالت الحكمة الالهية
في تهيئة اسبابها وتمهيد قواعدها وتسوية الاتها لكيلا
تنقطع مواد العلوم عن اصل النفوس والنفس اذا عبرت
عن مفهوم سمي كلاما والكلام اذا كان عن مفهوم يظهر
المعنى به سمي قولا وان كان لا يفهم في الحال بعض المستمعين
لقصور او تقصير فاذا افاضة النفس لا يكون الا باحدى
طريقين اما بالقول او بالكتابة والقول لطيف روحاني
غير انه ممزوج بشيء كثيف جسماني وهو الصوت والهواء
ومخارج الحروف واشكال الحروف كثيفة بالاضافة
الى المعنى المحض الروحاني لطيفه بالاضافة الى الكتابة
وان المكتوب اثار ونقوش في الدفاتر واما القول فهو اثار
مسموعة باقية في النفس دون زوايدها فالقول اذا صدر
عن لسان المتكلم وانتظمت عبارته يحمله الهواء بواسطة الصوت
في اصداف الحروف فتاخذه عن المخارج والحنك التي هي
الات الكلام كالمزامير التي هي الات الصوت وتبلغ المعاني

فان الصوت والكتابة

الملبوسة المركبة المزينة اي ازان لسامعين فالنفوس تبقى
في الخيال والاصوات مع اشكال الحروف تقع في الاذان
وعللها ونظمها يصل الى المفكرة وصورها تصل الى
المحافظة ومعانيها المعراة المبرأة عن الحوادث والعناصر تصل
بالنفس العاقلة الناطقة وتصير زينتها وحليتها والة كمالها
وهيئة صورتها وسبب سعادتها ومميزة لها عن غيرها وهذا
حقيقة قول الادميين **فصل** فاما قول
الله عز وجل فليس الا افاضة المعاني على العقول بحسب
قوتها وعلى قدر طاقتها من غير بخل ولا منع ولا مثل تعالى
الله عما يقول المشركون والظالمون علوا كبيرا لان الله سبحانه
ليس بجسم مركب حتى يكون بعض كلامه بالفكر وبعضه بالقوة
وبعضه بالفعل فانه واحد كامل قادر قيوم لا يحتاج
الى التفكر ولا الى استخراج المعنى من القوة الى الفعل
فيكون علمه سبحانه كلاما وافاضته قولا وحدود الناس
ومراتب الخلق في الادراك بتفاوت مقادير قواه

فواحد يسمع بصفاء نفسه وقوة عقله صريح القول
فيكون صاحب وحي ورسالة واخر يسمع بقوة فكره
وعلمه وفهمه فيكون صاحب الهام وحديث وعلى هذه
المراتب فبعضهم لا يسمع من قول الله تعالى الا حرفا وبعضهم
يسمع كتابا منزلا محلا مثل التوراة والانجيل والفرقان
ويعلم انها كلام الله سبحانه وقوله ونظمه وفيضه ونوره
وجوده وعزته وقدرته ويعلم انه لا نظير له ولا وزير
وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وتحت كل كلمة
من قول الله تعالى اسرار كثيرة لا يحتمل شرحها هذا
الكتاب فعليك ان تصفي نفسك من كدورات
الطبيعة وتنبهها من رقاد الغفلة بآداب الشريعة
حتى تسمع قولا بغير صوت وتنال حيوة بغير موت ولذة
بغير فوت قال الله عز وجل هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم **الباب الرابع في الكتابة وفيه**
فصلان الفصل الاول في كتابة المخلوقات

اعلم ان الله جلت قدرته لما خلق الانسان وشرفه وفضله
على سايرالمخلوقات جعل نوع الانسان متعلقا بعضه
ببعض متمسكا ومحاوطا بحيث لا تتم معايشهم الا بالمعاونة
والمساعدة والمعاضدة ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم
الناس كاسنان المشط وبقوله المومنون كالبنيان المرصوص
يشد بعضه بعضا فقوام الدنيا وبقا العالم بحافظة الناس
واشتغاله بكفاية مهمات النوع لمرمة المعاش ورعاية المصالح
وعمارة العالم وهذا لا يكون الا بفنون الحرف واصناف
الصنايع ولو اراد واحد من الآدميين ان يقوم بجميع
الصنايع لم يتمكن ولا بد من معاونة ومعاضدة وربما
تستدعي صناعة واحدة جمعا من الناس حتى تتم الصناعة
ويحصل الغرض والصنايع منقسمة الى علمية وعملية والعلمية
تتم بالات خارجة وادوات زايدة وعدد كثيرة ولا بد
لكل صانع في صنعته من سبعة اشيا آجرة وكالزمان والمكان
والمواد والارادة والصحة والعضو الفاعل الذي هو آلة ولو

ولو انتقص واحد من جملة هذه السبعة لتعطلت الصنعة
وبطلت الفايدة ٭ واما الصنايع العلمية فهي معرفة الاشيا
وتصور حقايقها وادراك صورها على ما هي عليه وهذا التصور
لا يحصل الا بالتعلم والتعلم هو طلب كمال النفس وتجليتها
بالصور العقلية وتزكيتها عن رذايل الجسمية وطريق
التعلم والتعليم والافادة والاستفادة القول والاستماع
والقول من اللسنة يصدر والاستماع في الاذان يصح
ولكن الحكما قالوا ان القول كما له لطيفة والكتابة قول
كثيف فاذا انتقل القول من اللسان الى القلم بيوت البصر
عن السمع والبصر للمكتوب كالسمع للمقول والقلم للكتاب
كاللسان للخطاب فاعلم ان الهوا اذا لطف غاية اللطافة
يكون نارا والنار اذا استحالت الى الكثافة تصير هوا
والهوا لطيف لكن باضافته الى الماء واما بالاضافة الى
النار فهو كثيف والكتابة ايضا لطيفة بالاضافة الى الاشكال
كثيفة بالنسبة الى الاقوال ولولا ان الكتابة جارية من

الناس لما تغيرت المعاني ولما استحكمت النفوس لأن
جميع المعاني المطلوبة ربما لا تتفق لفظ جميع الألسنة
بها مع جميع الطالبين فيبطل التعلم ويضيع القلم فالله سبحانه
بخفي لطفه ولطيف حكمته الهم بعض عبيده حتى استخرجوا
بصفاء قريحات افكارهم ومعادن افيدتهم هذه الغاية
العامة وذبروا البقاء للعالم تدبيرا حسنا واتخذوا من
الاقلام نوابا للالسنة وجعلوا المكتوب للمقول كالاجساد
للارواح وكالاصداف للدرر وحصنوا العلوم الروحانية
في حصون الاشكال وقيدوها في بطون الدفاتر
وصدور المصاحف ليكون ذخيرة للخلف عن
السلف وينتقل العلم من قرن الى قرن ومن قوم الى
قوم ومن اهل الى اهل الى ان يقضي الله امرا هو فاعله
ومريده والله سبحانه من علي نبيه بعلم القلم فقال اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ومن شرف الكتابة

ان

ان حروف القرآن على سائر كلام الآدميين فاء حروف
اذا كتبت وانتظمت وكتبت في المصاحف فحكمها
حكم القرآن في الشرف والديانة وبشرف نور الله
تعالى القديم عليها حتى لا يمسه الا المطهرون ويقال
انه تنزيل من رب العالمين جل عن بشر الحافي انه وجد
في الطريق كاغدا قد كتب عليه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
فرفعه وطيبه وحفظه في نفسه فراى الله تعالى في
المنام فقال له رفعت اسمنا فرفعناك وعظمته
فعظمناك فطهر حليه من الخير والطريقة الحسنة
مأمورا مشهورا بين المسلمين

فصل

لما رأينا اختلاف الناس في حروف كتاب الله تعالى
قد شرعنا بتحرير هذه الفصول على جميع الاصول وذكرنا
فيها من كل فن شيئا مختصرا بنسبة المقدمة طلبا لحصول
النتيجة وما ذكرنا من شرح مخارج الحروف وكيفية
حروفها عن الهواء في الخارج احترازا من تطويل الكلام

وقلّ يوجد مفرده غائبة في كتب المحققين وهذا القدر
الذي ذكرناه وكتبناه في هذه الاوراق تحته اسرار
غير مكنونة واشارات مكنونة ورموز مستورة عبرنا
عن كل سورة بآية واغرفنا من كل بحر قطرة والعاقل
اذا تكفيه في جميع العلوم عشر عشيرها وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء فعليك ايها الطالب الحريص ان
تتأمل هذا الكتاب تأمل طالب متذكر لا تأمل حسود
معيب حتى ترى العجايب وتنبذ امر السوايب ولا
يحل ان يوضع النور دين لحمير او يطرح الدر في فم
الخنزير واعلم اني ما كتبت هذا مفيدا واهبا بل مستفيدا
طالبا وغرضي من اعداد عرض هذه الحال على ذوي البصائر
والاسرار فالاسرار واجب صونها عن الاغمار اعنك
بالله وامرك بتقوى الله فاعرف والزم وانعم واكرم
واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ولنختم هذه

بذاته رحمة بل كان بنبوته وشريعته رحمة ونبوته ما كانت
مختصة بل هي شاملة لجميع الانبياء صلوات الله عليهم
كما قال سبحانه لا نفرق بين احد من رسله وهو خاتم
النبيين وافضلهم والله تعالى اعطى لكل نبي من كلامه كتابا
ومن قوله خطابا والله تعالى كتب غير معلومة ومكنونة قديمة
غير محدثة والقرآن احكمها واشرفها ومحمد صلى الله عليه وسلم
مبلغها وميقاتها ومعيارها وميزانها كما قال تعالى الذي انزل
اليك الكتاب بالحق والميزان وقال صلى الله عليه انا ميزان
العلم وعلي لسانه واعلم ان عناية الله عز وجل هي الابداع والقا
الوحي والالهام للمومن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم وحفظ
شريعته الى يوم الدين لا مغير لشرعه ولا مبدل لحكمه
ولا علة في قوله ولا آفة لكتابته والمومنون كل آمن بالله و
وملايكته وكتبه ورسله والكافرون هم الظالمون
لأنفسهم المحرومون في الدنيا مطالعة كتاب الله ربهم امامه
الظاهر في الواح الآفاق ودفاتر الانفس كما قال تعالى

بقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال تعالى وفي
انفسهم افلا يبصرون وقال تعالى سنريهم اياتنا في الآفاق
وفي انفسهم والمنافقون محرومون في الدنيا عن ملاحظة جمال
ايات الله وكتبه المسطورة بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار
ذاته ولا حركته ولا اتصاله محل الخط وفي الآخرة من كلام
الله تعالى ويا قاتيله ولمزيد خطابه بسلام قولا من رب رحيم
والمؤمن يعرف ربه بكتابه والعارف يعرفه بكلمته والكافر
موقوف على حرف ولا معنى للحرف قال تعالى ومن الناس
من يعبد الله على حرف الآية

الباب الخامس
في الغرض المقصود المطلوب وفيه خمسة فصول

الفصل الاول

اعلم ان الناس قد
اختلفوا في الحروف فقال بعضهم انها قديمة لان الحروف
واقعة في كتب الله المنزلة ولا بد في الكلام منها والله تعالى
متكلم بالحروف وكلامه قديم فلا شك ان الحروف قديمة فسواء
تقع في كلام الله تعالى او كلام الآدميين فحكمها في جميع
المقولات حكم واحد وقالوا انها لا تندرج تحت الخلق
والابداع بل انها من قبيل الكلام المنسوب الى صفة الباري
تعالى وهو قادر ان يتكلم بالصفة ويقول هذه الحروف من
غير ان تحتاج الى الالات والمخارج فان الانسان يحتاج
الى الالات لانه مركب من جسم جماني كثيف وروح نفساني
لطيف وروح الانسان مستور بحجاب الشخص المظلم
فيحتاج في نطقانية الى الات توافق الشخص ليبدي حقايق
الاشياء وصورها بوساطة ملك الالات كما ان الانسان
يحتاج في ادراك صور المحسوسات الى حاسة البصر
وحاسة البصر تستدعي الخدمة والعين وجرم العين
مركب من سبع طبقات وثلث رطوبات وهي الطبقة
العنكبوتية والقرنية والعنبية والمشيمة والصلبة والشكمة
والملتحمة والرطوبة البيضية والزجاجية والجليدية وكذلك
يحتاج في الاستماع لحاسة السمع الى الاذن والاذن
موافقة من غضاريف وعصب مجوفة وكذلك القول

يحتاج الى آلة الحنك واللسان والشفتين والأسنان
وهو مؤلفة من اعصاب وعضاريف وعضلات ولا
شك ان الله تعالى يرى جميع الموجودات بلا آلة ولا
حدقة ونحن نراها بآلة وحدقة وكذلك يسمع جميع
الاصوات والكلمات بغير اذن محسوسة ونحن نسمع بالاذن
وهو سبحانه قادر على ان يتكلم بجميع الكلمات من غير آلة
وحنك ولسان ونحن نتكلم بالآلات والمخارج فهذا
قول جماعة من عقلاء الحنابلة وقال قوم الحروف
ان الحروف محدثة لانها قطع الاصوات وتشكلها انواع
الاشكال المختلفة ويظهر اختلافها عند المخارج وهي
اصداف المعاني او المعاني المعراة عن الحروف كامله
بذواتها منقوشة في النفوس الانسانية لا تحتاج
تلك المعاني الى الحروف ما دامت مستقرة في اصل
النفس واذا احتاج وقت اظهارها بسبب افادة
المستمعين تستدعي الحروف لتتلبس الكلمات

ونعلم

ويحدث بمشيته خالقه واما القديم بالشرف فهو قدم
الانسان على الحيوان والنبات لانه اقدم بشرف
النطق واما القديم بالمكان فنيل مصر وبيت المقدس
فانهما اقدم في موضعهما من سائر الامكنة واما القديم
بالزمان فالافلاك فانها اقدم من الارض وما عليها لان
الزمان عدد حركات الفلك بعد الحصر والدهر
حركات الافلاك قبل العد والحساب ولهذا قيل ان
الدهر اصل الزمان لان الزمان ممتد مع السفليات
والدهر ممتد مع العلويات وكل الباري تعالى
صفة ذاته وذاته قديمة بالحقيقة وبعض صفاته
مثل ذاته في مرتبة القدم واما الاقدم بالشرف والمرتبة
والزمان فالنبوة الحادثة في اشخاص الانبياء عليهم
السلام كجريان الشمس في بروج الفلك فالنبي اقدم بالشرف
والمرتبة من سائر الناس وهو متكلم بوحي الله تعالى
وتاييد روح القدس فانه ما ينطق عن الهوى ان

هو الاوحي يوحي علمه شديد القوي واذا كان ذات
النبي قديما بالمرتبة والشرف اي هو حروف من الامة
واقدم في علم الله تعالى من غيره فكلامه وقوله ايضا
اقدم بالشرف من سائر اقاويل الناس فالحروف الواقعة
في القرآن لم تنسب الى الله تعالى تنزيها له فلا شك انها
متولدة من نفس الشارع عليه السلم وحادثة على لفظه
المطهر المشرف وجميع حركاته وسكناته منورة
بنور الحي القيوم فاذا عبارات الشارع قديمة بالاضافة
الى قول الناس ومحدثة بنسبتها الى كلام الله تعالى
ولهذا المعنى قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان بالاضافة الى ذاته عليه السلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم مع اصحابه انا اعلمكم بالله واصبحكم
واعقلكم فاذا حروف القرآن قديمة بالمرتبة لانها
واقعة في كتاب الله تعالى واحكام الكلمات
الربانية حادثة فيها من شرط التعظيم والاجلال تقديم

قد تسمى اربابا ويكون الله عز وجل رب الارباب لذلك ويكون لها
مراتب في نورانيتها متفاوتة فيجوز ان يكون مثالها من عالم الشهادة
الشمس والقمر والكواكب والسالك للطريق اذا لا ينتهي الى اما درجة
درجة الكوكب فيضيء له اشراق نوره ويتكشف له ان العالم الاسفل
باسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته
ما يكاد يذهل هذا زيغ ثم اذا ارتفع له ما فوق ما رتبته رتبة القمر اي فوق
الاول بمعرف الهوي بالاضافة الى ما فوق فقال لا احب الافلين
وكذلك يترقى حتى ينتهي الى اما مثاله الشمس فيراها اكبر واعلا
مرآة قابلا للمثال لنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص
نقص واقول ايضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة له اذ لو قال قابل ما
مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فانزه عز كل مناسبة
هو الاول الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يثبته الاله فنزل في جوابه قل هو الله احد الى آخرها معناه ان
التقديس عن النسبة كذلك لما قال فرعون لموسى ومارب العالمين

سؤال وطلب لماهيته لم يجبه الا بالتعريف بأفعاله اذ كانت الافعال
اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض فقال فرعون
لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن
طلب الماهية فقال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين فنسبه
فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب
عن الافعال فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولنرجع
الى الانموذج فاقول علم التعبير يعرفك منهاج ضرب
الامثال لان الرؤيا جزء من النبوة الا ترى ان الشمس في الرؤيا
تعبيرها السلطان وذلك لما بينهما من المشاركة والمماثلة في
معنى روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الآثار
على الجميع والقمر تعبيره الوزير لاقامة الشمس نوبتها بواسطة
القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة
الوزير على من يغيب عن حضرته وان من يرى انه يلبس خاتما
يختم به افواه الرجال وفروج النساء تعبيره انه مؤذن يؤذن قبل
طلوع الفجر في رمضان وان من رأى انه [illegible] في الزيتون

فتعبيره ان تحته جارية هي امة وهو لا يعرف واسقصا ابواب التعبير
يزيدك انسا بهذا الجنس فلا يمكنني الاشتغال بعدها بل اقول كما ان في
الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكوكب
فكذلك فيها ما له امثلة اخر بي اذا اعتبرت ومنه اوصاف
اخر بي لا تشعر وعظيم لا يستصغر ومنه ينفجر الى ادويه القلوب
البشريه مياه المعارف ونفايس المكاشفات فمثاله الطور وان
كان ثم موجودات تلقي تلك النفايس اولا ثم بعضها بعد البعض
فمثاله الوادي وان كانت تلك النفايس بعد ايصالها القلوب
البشريه تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا بوديه
ومفتتح الوادي قلوب الانبياء ثم العلماء من بعدهم فان كانت
هذه الاودية دون الاول وعنه تنصرف فبالحري ان
يكون الاول هو الوادي الايمن لكرمه منه وعلو درجته
وان كان الوادي الادون يأتي من آخر درجات الوادي
الايمن فيعترض سطي الوادي الايمن دون تحته ومبديه
وان كان روح النبي سراجا منيرا وذلك الروح مقتبسا

بواسطة وهي كما قال اوحينا اليك روحا من امرنا فما منه الاقتباس
مثاله النار فان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على محض
التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال حظ
المقلد الخبر ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب
فان صاحب الذوق مشارك للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض
الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء بما يصطلي
بالنار من معه النار لا من يسمع خبرها وان كان اول
منزلة الانبياء التي في العالم المقدس عن كدورات
الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان
كان لا يمكن وطأ ذلك الوادي الا باطراح الكونين اعني
الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكان الدنيا والآخرة
متقابلتين متحاربين وهما عارضتان للجوهر النوراني البشري
يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما اخرى فمثال اطراحهما عند
الاحرام التوجه الى الكعبة القدس خلع النعلين بالبيت قالبا
للحضرة الربوبية مرة [illegible] فقوله ان كان في تلك الحضرة

شيء بواسطته تنقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة لها
فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة ما هو سابق في التلقي
ومنها ينتقل الى غيرها فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور
وان كان فوق النافث للعلوم شيء هو مستخرج له فمثاله اليد وان
كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب
منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسانية نوع ترتيب
على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة
الرحمن وبين ان يقال على صورة الله تعالى لان الرحمة الالهية هي التي
صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة فانعم على آدم فاعطاه
صورة مختصرة جامعة لاصناف ما في العالم حتى كأنها كل ما في
العالم او هي نسخة من العالم مختصرة وهو آدم اعني الصورة
مكتوبة بخط الله تعالى وهو خط الهي ليس بحروف ولا رقوم ادنى
خط عن ان يكون نقاشا وحرفا كناية كلامية عن ان يكون صوتا وحرفا
وقلما عن ان يكون خشبا او قصبا ويده عن ان تكون عظما ولحما
ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن ان يعرف ربه [illegible]

هذه ٢

الامر عرف نسبته فلما كان هذا من اثار الرحمة صار على صورة
الرحمن لا على صورة الله فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة
وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية فلذلك امر بالعياذ بجميع
هذه الحضرات فقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله
الناس ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم على صورة
الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته
واللفظ وارد في الصحيح الرحمن والآن تميز حضرة الملك عن حضرة
الربوبية يستدعي سرحا طويلا فلنجاوزه فيكفيك من
الانموذج هذا القدر فان هذا بحر عظيم لا ساحل له فان وجدت
في نفسك قصورا عن هذه الامثال فانس قلبك بقوله تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية وانه كيف
ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والقرآن والاودية
القلوب **خاتمة واعتذار** لا تظن من هذا
الانموذج في طريق ضرب المثال رخصة مني في دفع الظواهر
واعتقادا في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان

يسمع الخطاب بقوله تعالى اخلع نعليك حاشى لله فان ابطال
الظواهر راي الباطنيه الذين نظروا بالعين العوراء الى باطن العالمين
ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال
الاسرار مذهب الحشويه فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن
باطني والذي يجمع بينهما كامل فلذلك قال عليه السلم للقرآن ظاهر وباطن
وحد ومطلع وربما نقل هذا عن علي كرم الله وجهه موقوفا عليه بل
اقول فهم موسى من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فاشكل الامر ظاهرا
بخلع نعليه وباطنا باطراح العالمين فهذا هو الاعتبار اي
العبور من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في
البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية القلب عن كلب الغضب
لانه يمنع الموفه التي هي انوار الملايكة اذ الغضب يحول العقل
وبين من يشاهد الامر في الظاهر ويرى القلب مشحونا بالاخلاق
الخبيثة ويتصور ان الغضب ليس هو كلبا صورة بل المعنى
وهو السبعية والصور وان كان خط البيت الذي هو مقر

الشخص والبدن واجبا حفظه عن صورة الكلب فلان يجب حفظ
بيت القلب وهو مقر الجوهر الخفيي الخاص عن سر الكلية
اولي فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكمال
وهو المعني بقولهم الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه ولذلك
نري الكامل لا تسمح نفسه بترك جزء من حدود الشرع مع كمال
البصيرة وهذه مغلطة منها وقع بعض السالكين الي الاباحة
وهي مسامحة الاجلاف ظاهرا حتي انه ربما ترك احدهم الصلاة
ورعم انه دايما في الصلاة لسره وهذا اسوا مغلطة ايجي من
الاباحية الذين ياخذهم الزهات لقول بعضهم ان الله غني عن
عملنا وقول بعضهم ان الباطن مسجون بالجنايات لا يمكن تزكيتها
ولا مطمع في استيصال الغضب والشهوة اظنا انهما مامور
باستيصالهما وهذه مغالطات وهذا هو كبوة جواد وهفوة
سالك جذبه الشيطان قدلاه بحبل الغرور وراجع
الي حديث النعلين واقول ظاهر النعلين نسبة علي بزك
الكونين فالمثال في الظاهر حق وزده الي الباطن حقيقة

ولكل حق حقيقة واهل هذا التنبيه هم الذين بلغوا درجة الزجاجة
كما سياتي في معني الزجاجة ان شاء الله تعالي لان الحجاب الذي مر بينه
يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار
ولكن اذا صفي حتي صار كالزجاج الصافي صار غير حاجب عن الانوار
بل صار مع ذلك مودعا للأنوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار
عن الانطماء بعواصف الريح وستاتيك قصة الزجاجة ان
شاء الله تعالي فاعلم ان العالم الكثيف الحسي السفلي
صار في حق الانبياء زجاجة ومشكاة الانوار ومصفاة
للأسرار ومرقاة الي العالم الاعلي وبهذا يعرف ان المثال الظاهر
حق ووراءه سر وقس علي هذا الطور والنار وغيره دقيقة
اذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت عبد الرحمن بن
عوف يدخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهد بالبصر ذلك
بل راءه في يقظته كما يراه النايم في منامه وان كان عبد الرحمن
مثلا نايما في بيته بشخصه فان النوم انما اثر في هذه المشاهدات
لقهر سلطان الحواس عن نور الباطن فان الحواس

شاغلة له وحادته اما هاك الى عالمها وصارفه وجهه عن عالم
الغيب والملكوت وبعض الانوار النبويه فلا تشغل وتستولي
بحيث لا تستسخرها الحواس الى عالمها ولا تشغلها فتشاهد في
اليقظة ما يشاهده غيرها في المنام ثم انه اذا كان في غاية
الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر
منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب الى العالم
الذي يعبر عنه بالجنة وهو العالم الاعلى والمال جاذب
الى الهيولى الحاضرة وهو العالم الاسفل فان كان الجاذب
الى اشغال الدنيا اقوى او معاونا للجاذب الاخر صد
عن السير الى الجنة وان كان جاذب الايمان اقوى
او رث عسرا او بطأ في شيء فيكون ماله من عالم
الشهادة الحسوه فحينئذ يتجلى له انوار الاسرار من وراء
زجاجات الخيال وكذلك لا يقتصر في حكمه على
عبد الرحمن وان كان ابصاره مقصورا عليه بل يحكم به على
كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت دربته

له مراجم الايمان ولكن لا يقاومه ايجاب قوة الايمان فهذا
يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني
من وراء الصور والاغلب انه يكون المعنى ما سابقا الى
المشاهدة الباطنة ثم يشرف منه على الروح الخيالي فيطبع
الخيال بصوره موازنة للمعنى يحاكيه له وهذا النمط من الوحي
في اليقظة يفتقر الى التاويل كما انه في النوم يفتقر الى التعبير
والواقع منه في النوم نسبته الى الخواص النبويه نسبة الواحد
الى ستة واربعين والواقع في اليقظة نسبته اعظم من ذلك
اظن ان نسبته اليه نسبة الواحد الى الثلثة فان الذي
انكشف لنا من الخواص النبوية ينحصر شعبها في ثلثة
اجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلثة القطب
الثاني في بيان مراتب الارواح البشرية النورا نيه
اذ بمعرفتها يعرف امثله القرآن الاول منها
الروح الحساس وهو الذي يتلقى ما تورده الحواس الخمس
وكانه اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا

وهو موجود للصبي الرضيع الثاني الروح الخيالي
وهو الذي يستثبت ما اورده الحواس ويحفظه مخزونا
عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة
اليه ولا لا يوجد للصبي الرضيع في بدو نشئه ولذلك
يولع بالشيء لنتخته فاذا غيب عنه نسيه ولم ينازعه
نفسه اليه حتى يكبر قليلا فيصير بحيث اذا غيب عنه
بلي وطلبه لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد وجد
لبعض الحيوانات دون بعض فلا يوجد للفراش المتهافت
على النار لانه يفقد النار لشعشعة ضياء النهار فيظن
ان السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه
عليه فيناذي به لانه اذا جاوزه وحصل في الظلمة
عاود مرة بعد مرة فلو كانت لها الروح الحافظ المستثبتة
تؤديه الحس عن الآلة لما عاود بعد ان تضرر مرة به والكلب
اذا ضرب مرة بخشبة يصير اذا رأى الخشبة بعد ذلك
من بعد هرب الثالث الروح العقل الذي به

يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي
الخاص ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان ومدركاته المعارف
الضرورية الجلية لما ذكرنا غير ان نور العقل على نوع غير
الرابع الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم الضرورية
المحضة فيوقع بينها تالفات وارد واجبات ويستنتج منها
معارف شريفة ثم استفاد نتيجتين مثلا الف بينهما مرة
اخرى واستفاد نتيجة اخرى فلا يزال يزيد ذلك الى غير نهاية
الخامس الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبياء وبعض
الاولياء وفيه تتجلى لوايح الغيب واحكام الآخرة وجملة
من معارف ملكوت السموات والارض بلمز المعارف
الربانية التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري
واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان الآية فلا يبعد ايها المعتكف في عالم
العقل ان يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه

مما لا يظهر في العقل كما لا يبعد كون العقل طورا وراء
التمير والاحساس وينكشف فيه غرايب وعجايب يقصر
عنها التمير والاحساس فلا يجعل اقصى الكمال وقفا على
نفسك فان اردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص
بعض البشر فاظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم
من الناس وهو نوع احساس وادراك ويحرم عنه
بعضهم حتى لا يتميز عندهم الالحان الموزونة من المنزحفة
وانظر كيف عظمت قوة الذوق في طايفة حتى استخرجوا
بها الموسيقي والاغاني والاوتار وصنوف التاثيرات
التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المضحك
ومنها القاتل ومنها الموجب للعشق وانما تقوى هذه
الاوتار فيمن له اصل الذوق واما العاطل عن
خاصية الذوق فيشارك في سماع ويضعف فيه هذه
الاثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغنى ولو اجتمع العقلاء
كلهم من ارباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه

فهذا مثال من امر خسيس لكنه قريب الى فهمك تقيس به الذوق
اعني النبوي واجتهد ان تصير من اهل الذوق بشتى مزيدة
الروح فان للاولياء منه حظا وافرا فان لم تقدر فاجتهد
ان تصير لتشبيهات الاقيسة التي ذكرناها والتي نرمز اليها
من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا اقل من ان تكون من اهل
الايمان بها ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم فالذوق
وجدان والعلم قياس والايمان مجرد التقليد وحسن
الظن باهل الوجدان واهل العرفان عرفت هذه الارواح
الخمسة انها بحملتها انوار اذا بها تظهر اصناف الموجودات
والحسي والخيالي منها وان كان يشارك البهايم الانسان
فيها فالانسان فيها نمط اخر اشرف واعلى وخلقت لا لاجل
شيء اجل واسمى فانها خلقت للبهايم لمدعاها الى طلب علفها
والى تسخيرها للادمي وخلقت للادمي فتكون شبكة له
يقتنص بها من العالم الاسفل مبادي المعارف الدينية

الشريفة اذا الانسان اذا ادرك باحس شخصا معينا اقتبس
عقله منه معنى عاما مطلقا كما ذكرناه في مثال خبر عبد
الرحمن فاذا عرفت هذه الارواح فلنرجع الى عرض الامثلة
بيان امثلة هذه الآية اعلم ان القول في موازنة هذه
الارواح الخمسة للمشكاة والزجاج والمصباح والشجرة
والزيت يمكن تطويله لكن اوجز واقتصر على التنبيه على طريقه
فاقول اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته
وجدت انواره خارجة من ثقب عينه كالعين والاذنين
والمنخرين وغيرها فاوقف مثالا له في عالم الشهادة المشكاة
واما الروح الخيالي فيجعل له حراما ثلثا احدها انه من طينة
العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل له مقدار وشكل
وجهات مخصوصة فهو على نسبة من المتخيل من
قرب او بعد ومن امتزاج الكثيف الموصوف بالاوصاف
الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المجردة التي تنزه
عن الجهات والمقادير والقرب والبعد الثانية

ان هذا الخيال اللطيف اذا صفي ورق وهذب وضبط
صار موازنا للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها وهو غير قابل
لاشراق نورها الثالثة ان الخيال في بداية الامر محتاج
اليه حتى ينضبط به المعارف العقلية فلا يضطرب ولا
يتزلزل ولا انتشار الخروج عن الضبط فنعم المعين
المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاث
لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا كالسراج
فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورق حتى صار
لا يحجب نور المصباح بل يؤدي به على وجهه ثم يحفظه عن
الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهو اولى
مثال به واما الثالث وهو الروح العقلي الذي به
تدرك المعارف الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه
تمثيله بالمصباح وقد عرفت هذا فيما سبق من بيان معنى
الانبياء سراجا منيرا واما الرابع وهو الروح الفكري
فمن روحه انه يصدر من اصل واحد ثم تتشعب منه شعبتان

ثم من كل شعبة شعبتان هكذا الى ان يكثر الشعب بالتقسيمات
المعقلية ثم بعضها بالآخرة الى نتايج هي ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود
فتصير بدورها امثالها اذ يمكن ايضا تلقيح بعضها بالبعض حتى
تتمادى الثمرات وترآها كما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم
فباحرى ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها
مادة تضاعف انوار المعارف وسائها وسقايها فلا يمثل
بشجر السفرجل والرمان وغيرها بل من جملة سائر الاشجار
بالنهيونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح
ومختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق
مع قدر الدخان واذا كانت المناسبة الى تكثير نسلها والشجرة
التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالذي لا تنتهي ثمرتها الى حد محدود
اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية
المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد
فباحرى ان لا تكون ذكرية ولا غريزية واما الحامس
وهو الروح القدسي النبوي المذكور الى الاولياء اذا

كان في غاية الشروق والصفاء كانت الروح المفكرة
منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه من خارج حتى
يستوي في انواع المعارف وبعضها يكون من شدة الصفاء
كانه تنبيه من نفسه من غير مدد خارج فباحري ان يعبر عن
الصافي البالغ بالاستعداد بانه يكاد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار اذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد
يستغني عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد ضوءه
يستغني عن مدد الملايكة فهذا المثال موافق لهذا
القسم واذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض
فالحس هو الاول وهو كالتوطيه والتمهيد
للروح الخيالي اذ لا يتصور الخيال الا موضوعا
بعده والفكري والعقلي يكون بعدهما فباحري
ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل
للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في
مشكاة واذا كانت هذه الانوار بعضها فوق بعض

فبالحري ان يكون نورا على نور خاتمة هذا المثال
انما يصح لقلوب المؤمنين او لقلوب الانبياء والاولياء
لا لقلوب الكفار فان النور زيادة للهداية والمصروف عن
طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا
تهدي الى الباطل كما لا تهدي الى الحق فقلوب الكفار
اتكست وكذلك سائر ادياتهم وتعاونت على
الضلالة حقهم فمثاله كرجل في بحر يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
والبحر اللجي هو الدنيا كما فيها من الاخطار المهلكة
والاشغال الموذية والحدورات العميقة والموج الاول
موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية
والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية
حتى يأكلوا ويتمتعوا كما تأكل الانعام وبالحري ان يكون هذا
هذا الموج مظلما لان حب الشيء يعمي ويصم الموج الثاني
موج الصفات السبعية بعثه على الغضب والعداوة

والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة في التفاخر والتكاثر
وبالحري ان يكون مظلما لان الغضب يحول العقل وبالحري
ان يكون هذا الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول
على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات واعقل
عن اللذات المشتهاة واما الشهوة فلا تقاوم الغضب
الهايج اصلا واما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة
والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت
حجابا بين الكافر والايمان ومعرفة الحق والاستبصار
بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب
بان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها ظلمة
فبالحري ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت
هذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا
عن البعيدة وكذلك تحجب الكفار عن معرفة احوال
النبي صلى الله عليه وسلم مع قرب منزله وشهوده باديا
تأمل فبالحري ان يعبر عنه بانه لو اخرج يده لم يكد يراها

واذا كان منبع الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فما يجري
ان يعتقده كل موجود ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور كيفك
هذا القدر من اسرار هذه الآية فاقنع به والسلام الفصل
الثالث في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى سبعين حجابا
من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه
بصره وفي بعض الروايات سبع مايه وفي بعضها سبعين الفا
فاقول ان الله تعالى يستحيل في ذاته لذاته والحجاب مضاف الى المحجوب
لا محالة والمحجوبون من الخلق ثلثة اقسام منهم من حجب بمجرد الظلمة
ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة
واصناف هذه الاقسام كثيرة الخلق كثرتها ويمكنني ان اكلف
بحصرها لكن لا اثق بما يلوح لي من تحديد وحصر اذ لا ادري
اهو المراد بالحديث ام لا ام الحصر لي سبع مايه او سبعين
الف فذلك لا يستفاد الا الفتح النبوية مع ان ظاهر ظني
ان هذه الاعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد وقد يجري لعاده
بذكر عدد ولا يراد به الحصر بل التكثير والله اعلم بتحقيق ذلك

وذلك خارج عن الوسع فاعنا الذي يمكنني الآن اعرفك هذه الاقسام م
وبعض اصناف كل قسم واقول القسم الاول هم المحجوبون بمحض
الظلمة وهم الملحدون الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وهم الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة لانهم لا يوقنون
بالآخرة اصلا وهؤلاء صنفان صنف تشوف الى الطلب
سبب لهذا العالم واحال الى الطبع والطبع عبارة عن
صفة مركوزة في الاجسام حاله فيها وهي مظلمة اذ ليس لها
معرفة وادراك ولا اجر لها من نفسها ولا ما يصدر منها وليس
لها نور مدرك بالبصر الظاهر هم الصنف الثاني هم
الذين اشتغلوا بانفسهم ولم يدعوا الطلب سببا بل عاشوا
عيش البهايم فكان حجابهم نفوسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة
ولا ظلمة اشد من الهوى والنفس ولذلك قال تعالى افرايت
من اتخذ اله هواه وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم
عبد هوى في الارض وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اعرفك ان غاية
المطلب في الدنيا هو قضاء الاوطار ونيل الشهوات ودرك

اللذات البهيميه من منكح ومطعم وملبس فهاولاء عبيد اللذة
يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان ينالها غاية السعادات ذهو
لانفسهم ان يكونوا بمنزلة البهايم بل اخس منها في ظلمة اشد من ظلمة
فقد حجبها ولاء بمحض الظلمة وفرقة رأت ان غاية السعادات هي
الغلبة والاستيلاء والقتل والفتك والسبي والاسر وهذا مذهب
الاعراب والاكراد وكثير من الحميق وهم محجوبون بظلمة الصفات
السبعية لغلبتها عليهم ولون ادراك مقصودها اعظم اللذات
عندهم وهاولاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة السباع بل اخس وفرقة
ثالثة رأت ان غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار لان
المال هو آلة قضاء قضاء الشهوات كلها وبه تحصل للانسان
الاقتدار على قضاء الاوطار فهاولاء همتهم جمع المال واستكثار
الضياع والعقار والخيل المسومة والانعام والحرث وكثرة الدنانير
تحت الارض فهي الوالد يجتهد طول عمره ويركب الاخطار
في البراري والاسفار والبحار ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه
فضلا عن غيره وهم الا دون بقدر صلى الله عليه وسلم تعس عبد

الدينار تعس عبد الدرهم فاي ظلمة اعظم من هذه مما يلبس على
الانسان لان الذهب والفضة حجران لا يراد ان لاعيانهما
فاذا لم يقض بهما الاوطار لم ينفق فلحصاتهما وفرقة
رابعة ذهبت من جهالتها هاولاء وتعاطت وزعمت ان اكثر
السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة
الاتباع ونفوذ الامر المطاع فرأها لا تم لها الا المرآة وعمارة
مطامح ابصار الناظرين حتى ان الواحد فذ يجوع في بيته
ويجمل الضر ويصرف ماله لثياب يتجمل بها عند خروجه
كيلا ينظر اليه بعين الحقارة واصنافها هاولاء يحصون
وكلهم محجوبون عن الله تعالى بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة
ولا يعني لذكر اجاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس ويدخل
في هاولاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله لكن اعمالهم
على ذلك حرف او استظهارا بالمسلمين وطلبا لهم او استمدادا من
مالهم او لاجل التعصب لكثرة مذاهب الاباء وهاولاء اذا
يحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا يخرجهم من الظلمات

الى النور بل اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات اما من اثرت فيه الحكمة بحيث اخرجته سيئته
وسرته حسنته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان
لبقية المعصية هو القسم الثاني قوم حجبوا بنور مقرون
بظلمة وهم ثلثة اصناف صنف منشا ظلمتهم من الحس وصنف
منشا ظلمتهم من الخيال وصنف منشا ظلمتهم من مقايسات
عقلية فاسدة هو الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية
وهم طوايف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات الى
نفسه وعن الناله والتشوف الى معرفة ربه واولهم درجاتهم
عبدة الاوثان واخرهم التشبيه وبينهما درجات فالطايفة
الاولى عبدة الاوثان علموا بالجملة ان لهم ربا يليهم اثنان على
نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان ربهم اعز من كل شيء وانفس
من كل شيء ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن ان يجاوزوا
العالم المحسوس فاتخذوا من نفيس الجواهر كالذهب والفضة
والياقوت اشخاصا مصورة باحسن الصورة اتخذوها الهة

فهاؤلاء محجوبون بنور العزة والجلال من صفات الله وانواره
ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك ظلمة
الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني العقلي
كما سبق في الطايفة الثانية جماعة من افاضي الترك ليس لهم ملة
ولا شريعة يعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا
في غاية الجمال او فرسا او بقرة او غير ذلك يحملون اله وقالوا انه ربنا
فهاؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم ادخل في ملاحظة
النور من عبدة الاوثان لانهم يعتقدون جمال المطلق دون
الشخص الخاص فلا يخصصونه بشخص بل يعبدون اجمال
المطبوع لا المصنوع من جهتهم وبايديهم وطايفة ثالثة
قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورا بريا في ذاته بصورة ذات
سلطان في نفسه مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن
ينبغي ان يكون محسوسا اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا
النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهاؤلاء محجوبون
بنور السلطنة والبهاء وهي من اثار الله تعالى وطايفة رابعة

زعموا أن النار تشتو بالحن عليها بالاشغال والاطفاء فهي بحث
تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ثم نكون نحن
نصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما
بينهم علم النجوم فاضافوا التاثيرات اليها فمنهم من عبد الشعري
ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب على حسب ما
اعتقدوه في النجوم من كثرة التاثيرات فهاؤلاء محجوبون بنور العلو
والاشراق والاستيلاء وهي من انوار الله تعالى وطايفة خامسة
شاعدت هاؤلاء في المأخذ ولكن قالت لا ينبغي ان يكون ربنا
موسوما بالصغر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون
اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا هي اكبرها وهاؤلاء محجوبون بنور
الكبرياء مرهونا بظلمة الحس مع بعده تلك الانوار وطايفة
سادسة ترقت عن هاؤلاء وقالوا النور كله لا ينفرد به
الشمس بل غيرها انوار فلا ينبغي ان يكون للرب شريك في نورانيته
فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه
رب العالمين والخيرات كلها بسوية البر ثم زاوا في العالم

شرورا فلم يتحتموا ان ينسبوها الى ربهم نزيها له عن الشر فجعلوا
بينه وبين الظلمة منازعة واجالوا العالم الى النور والظلمة وربما
سموها يزدان واهرمزد وهو التنوية فيكفيك هذا القدر تنبيها على هذا
هذا الصنف وهم اكبر من ذلك هم الصنف الثاني المحجوبون
ببعض مقرونا بظلم الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء
المحسوسات امرا ولكنهم لم يكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا
موجودا قاعدا على العرش واتخذوا له جثة الجسمية ثم اصناف
الكرامية باجمعهم ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا
فايدة في الكثير وارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع
عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذي لا ينسب
الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن
عندهم موجودا اذ لم يكن متخيلا وقد علموا ان اول درجات
المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات الصنف الثالث
المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة باثبات عقلية
فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا

مريدًا حيًّا منزهًا عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه
صوت كلامنا وربما ترنى بعضهم فقال لا بل هو حديث
نفسا لا صوت ولا حرف وذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع
والبصر والحياة رجعوا الى النسبة من حيث المعنى وان انكروها
من حيث اللفظ اذ لم يدركوا اصلا معانى هذه فى حق الله تعالى
وكذلك قالوا فى ارادته انها ارادة حادثة كارادة ما وانها
طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة
الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسة
العقلية فهؤلاء كلهم اقسام الصنف الثانى الذين حجبوا
بنور مقرون بظلمة القسم الثالث هم المحجوبون بمحض
الانوار وهم اصناف لا يمكن احصاؤهم فاشير الى ثلثة
اصناف منهم الصنف الاول طايفة عرفوا معانى الصفات
تحقيقا وادركوا اطلاق اسم العلم والقدرة والارادة
والعلم وغيرها على صفاته كاطلاقه على البشر فجاشوا

من تعريفه هذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كعرف
موسى عليه السلام فى جواب قول فرعون وما رب العالمين
ولكن قالوا ان الرب المقدس المنزه عن معانى هذه الصفات
هو محرك السموات ومدبرها الصنف الثانى ترقوا من
هاؤلاء من حيث ظهر لهم ان فى السموات كرة وان
محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفهم كثرة
وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب ثم لاح
لهم ان هذه السموات فى ضمن فلك آخر يحرك الجميع بحركة
فى اليوم والليلة مرة فقالوا الرب هو المحرك للجرم الاقصى
المنطوى على الافلاك كلها والكثرة منتفية عنه الصنف
الثالث ترقوا من هاؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق
المباشرة ينبغى ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة
من عبد من عباده يسمى ملكا بنسبته الى الانوار الالهية
المحضة بنسبة القسم فى الانوار المحجوبة فزعموا ان الرب
تعالى هو المطاع من جهة هذا المحرك ليكون الرب تعالى

مجرّدًا للكلّ بطريق الأمر لا بطريق المباشرة ثمّ في تفهيم ذلك
الأمر وما هيّنه عموض يقصر عنه اكثر الأفهام ولا يحتمله
هذا الكتاب فها أولاء الاصناف كلهم محجوبون بالأنوار
المحضة وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم ايضًا ان هذا
المطاع موصوف بصفة تناهي الوجدانيه المحضة والكمال
البالغ ليس يحتمل هذا الكتاب كشفه وان نسبة هذا
المطاع كنسبة الشمس في الانوار فتوجهوا من الذي
حرك السموات ومن الذي امر بتحريكها فوصلوا الى موجود
منزه عن كلما ادركوه ابصر من قبلهم فاحرقت سبحات وجهه
الأول الأعلى جميع ما ادركته ابصارًا لناظرين وبصيرتهم
اذ وجدوه منزهًا مقدسًا عن جميع ما وصفناه من قبل
ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من احرق منهم جميع ما ادركه
بصره وامحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظًا للجمال
والقدس وملاحظًا ذاته في جماله الذي ناله بالوصول
الى الحضرة الالهيّة فاضمحق منه المبصرات دون

المبصر وجاوزها وأما طايفة هم خواص الخواص فاحرقتهم
سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فامحقوا
وتلاشوا في ذاتهم ولم يبق لهم لحاظ الى انفسهم لفنايهم عن
انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله
كل شيء هالك الا وجهه لم ذوقًا وجلاءً وقد اشرنا
الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انه كيف اطلقوا الالحاد
وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج
في الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل
عليهم الطريق فسبقوا في اول وهلة الى معرفة القدس
وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهها عنه وغلب
عليهم اولًا ما غلب على الآخرين آخرًا وهجم عليهم التجلي
دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان
يدركه بصر حسي وبصيرة عقلية ويشبه ان يكون
الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات
الله عليهما وسلم والله اعلم بما ذاقاه وانوار مقامهما

هذه اشارة الى اصناف المحجوبين ولا يبعد ان يبلغ عددهم
اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين
الفا ولكن اذا فتشت لا تجد واحدا منها خارجا عن الاقسام
التي حصرناها فانهم اما محجوبون بصفاتهم البشرية او
بالخيال او بمقايسة العقل او بالحس او بالنور المحض
كما سبق فهذا ما حضرني في الوقت في جواب هذه
الاسرار مع ان السؤال صادر فيّ والفكر منقسم
والخاطر مشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف
ومفتوح عليك ان تسأل الله العفو عما طغى به القلم
وزلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير
واستشفاف الانوار الالهية من وراء الحجب عسير
غير يسير والسلم ممن مشكاة الانوار بحمد الله ومنه
وصلى الله على سيدنا محمد النبي القرشي
الاميني العربي والآل الطيبين
الطاهرين وسلم

مسألة

سئل الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي رضوان الله عليه
عن ما وقع له في كتاب الاقتصاد في المسلك الثاني
من الدعوى التاسعة في تحقيق الرؤية وقوله في ذلك
انه نوع ادراك وزيد كشف بان قيل له ادراك يرجع الى
العلم بالله سبحانه وبوجوده ومعلوم ان العلم والرؤية
غيران مفترقان وان مزيد الاستكمال من العلم والكشف
لا يختص بالآخرة فان الانبياء والصديقين قد اختصوا
بمزيد كشف في الدنيا وقد وقع الاتفاق على تخصيص
الدار الآخرة بالرؤية ولم يزل السلف الصالح رضي
الله عنهم قولا منهم واخبارا عن الرسول صلى الله عليه وسلم
يقولون ان الرؤية بالابصار

فاجاب رحمة الله عليه بان قال

ان الرؤية التي نثبتها نوع ادراك يخالف ادراك العلم
هذه الرؤية للتخيل واسم العلم والادراك يشمل

الجميع اذا التخيل نوع ادراك ونوع علم والرؤية نوع علم
ونوع ادراك الا ان الادراك ينقسم الى ادراك المعقولات
والى ادراك المحسوسات وادراك المحسوسات تحل
وابصار وادراك المعقولات نوعان علم ومشاهدة
ونسبة المشاهدة الى العلم كنسبة الابصار الى التخيل
والابصار نوع يخالف التخيل لا بمعنى ان المتخيل يرى
على خلاف ما يتخيل ولكن على معنى انه اذا اضيفت
الصورة الثابتة في الخيال الى الصورة الثابتة في
الابصار وهما مطابقان ادرك بينهما بالكشف والوضوح
تفاوت ظاهر وان كانت الرؤية اتم كشفا من الخيال
لم تخرج الرؤية عن كونها نوعا مخصوصا من الادراك
يتميز بالحد والحقيقة عن الخيال فكذلك مشاهدة المعقولات
نوع اخر يباين العلم لكن لا يخالفه بل يزيد في كشفه واسم
الرؤية يشمل ايضا المحسوسات ومشاهدة المتخيلات
واذا خلف هذه المشاهدة في العين كان اسم الرؤية عليه

اصدق ع واما ما اختص به الانبياء من مزيد الكشف
فهو ايضا في تفاوت درجات الخيال فان الصورة القريبة
العهد بالرؤية تثبت في الخيال اوضح مما تثبت قبلها
بزمان وعند صفاء الذهن يكون الخيال ملشوفا وعند
تشويش الفكرة تكون الصورة الثابتة في الخيال غير تامة
التجسيم حتى كانه ينظر اليها في ظلمة وكل ذلك تفاوت
درجات الخيال وبعضها اوضح من بعض ولم يرتفع شيء
من ذلك الى حد الرؤية ما لم يفتح الجفنين ولم ينظر الى
الصورة وكذلك معارف الانبياء والعلماء تفاوت
هذا النوع من التفاوت ولم تجاوز اقصى درجاته نوع العلم
وما انتهى الى المشاهدة ما لم يرتفع حجاب هذه الصفات
البشرية بالموت وما لم ينضم اليها شرط اخر على ما
اجرى الله تعالى به سنته كما في رؤية المحسوسات
فهذه هي المشاهدة التي تشبه في حق الله سبحانه والعقل
يدل على امكانه والشرع ورد به ولنزد هذا ذلك

جهة ومعه دار أو أمر يستحيل على الله سبحانه وتعالى وما سوى
ذلك لا يجوز اعتقاده وهو شرح الرؤية التي سألها
الأنبياء والصديقون وبيان ما فهموه ولا يمكن أن
يتوهم غير ذلك في حق الله سبحانه وتعالى تجزت
والحمد لله وصلى الله على محمد آله وسلم

شرك
عز لا يقبل الخلافة لانه ظلم والانبياء عهدي الظالمين ولانه كان آمرا بالفحشاء لان الله لا يأمر بالفحشاء ولانها كلمة باقية في عقبه ولعلهم يرجعون
ولانه عصى الله فكان فرض الزحف ولانه كان محتاجا الى الارشاد ولذلك كثيرا ما يدل على انه لا يهلك غير الفاسق ولان يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي
الا ان يهدى ولانه لم يعلم مثل علم اهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولانه شرع فاصل حراما وحرم حلالا ولذلك انكر الشرع
واخترع من قبله شرعا آخر ولانه لم ينصب ربنا ولا سولنا الا الناس اجتمعوا عليه فحفظهم على اصحابه وقال لهم
ان لقيتم الله وجعلتم من اختياركم دينا مكتوبا به دينه بذلك لنفي ايجاب اطاعة احد والتعبد
بل من قبل انفسهم مخالفة واختراع دين آخر ولانه غير موصوف بحسن جميل بل فيه فظ غليظ يعني عما هلا عنه جميعا
كان ذما مزورا طالبا للغرة والصدارة مركبا فيه ولوعا لا يتبع به ولا عليه وقيل كان لوطيا قال بلا لا تعرف
القرآن ولا شيأ من العلوم لعبادة الدين محرفة للكتاب تقدم بعضها على بعض فقه امر الله به فصوله طالبا للجدال والقضم
حتى انه تخيل ان الدين لبطل والحج لعب والصلوة لهو عبث والصوم لغو والنسك جراده بين ماهر انه يجر
وقد ملئوا الله عوالم عهده فيهن ملوكا كثيرا لا شغل لهم الا الطعن واللعن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه عنه

وظاهرا حجة الاسلام غزالة در جدوجهد صيد نخام الى خزائنه

تاريخ كتب ... سته بعد ... از ... رانه

علاقه ... از عصر ...

اشارات ... الصفر ٢٢

... الغزالي الى المعتقد الاول

ربكم الذي لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين

تمت ١٣٢٢ في ...

من يد العاصي ... الجاني احمد ...